وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الآداب اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: اللغة العربية و الاعلام

صناعة الوعي من خلال الصحافة الإصلاحية

تجربة البصائر للبشير الابراهيمي أنموذجا

إعداد الطالبة:
- رحال عائشة

إشراف الأستاذ:
* مداح أحمد

السنة الجامعية: 2015 – 2016

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين أما بعد:

فإن من رحمة الله سبحانه وتعالى وعظيم لطفه بخلقه أن أرسل إليهم رسلا وفضل هذه الأمة بأفضل الرسل ،وجعل الرّسالة المحمّدية هي خاتمة الرّسالات السّماوية وأفضلها وأكملها وهي الباقية إلى قيام الساعة،فحفظها الله من التحريف والتبديل،وذلك بحفظ مصادرها (الكتاب والسنّة) فهي باقية صافية لا يزيغ عنها إلا هالك،وكتب الله السّعادة في الدّارين للمتمسّكين بها والمتّبعين لها،وكتب الشّقاء والاهانة على من حاد عن صراطها المستقيم.

ونبيّنا الرّحمة المهداة لم يترك خيرا إلا دلّ الأمة عليه ولا شرّا إلا حذّرها منه ثم تلقّى الصّحابة رضي الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدّين فلم يضيّعوا منه جملة ولم يهملوا منه حرفا، واعتنوا به بنشره والدّفاع عنه، ومن تم السّلف الصّالح الذين ساروا على منهجهم ،ولا يزال علماء المسلمين قائمين بأمر الدين، تقريرا للحق ودعوة إليه،وإبطالا للباطل وتحذيرا منه.

قال الإمام الآجري رحمه الله تعالى:(هم أفضل من العبّاد وأعلى درجة من الزهّاد،حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة،يذكّرون الغافل ويعلّمون الجاهل)إلى أن قال:(هم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمّة).

وحينما يعود المرء بذاكرته إلى الوراء فيستحضر العقول التي خلّدها تاريخ العلم والأقلام التي سطّرت على سجلّه أروع آيات الحكمة ،والصحائف التي حفظت بأمانة وصدق نتاج تلك العقول والأقلام يكاد يقول في نفسه أنها أمجاد طويت من أمجاد هذه الأمّة.

ثمّ يلتفت إلى ماض قريب، فيرى دعاة أحاطت بهم سمات الهدى، وانتقلوا بعقولهم من حاضرهم إلى الماضي، فعاشوا مع تلك الأقلام والعقول من غير أن يجلسوا على مقاعد الجامعات المعاصرة والمعاهد العليا، وخلّفوا لنا تراثا ضخما من المعارف الإسلامية والعربية،

وسقطت أقنعة عن وجوه أناس كانوا يحسبون عند كثير من الناس من أهل العلم،فرأوها بادية الصفرة أفناها الغرور وأماتها الجهل الفاضح.

ولقد نظرت في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فرأيتهم يرتادون أطراف العلم، ورأيت فيهم طليعة لجيل جديد يعيد للذهن مجدا من سلف العلماء الأوفياء،عرفهم النّاس بقية راشدة لعلماء السّلف وصدق التوجّه والعزم والصلابة في الحقّ، والجرأة في الدفاع عن الدّين والوطن واللغة العربية.

فأجمعوا أمرهم بينهم لردّ الحقّ المغتصب بهمّة لتحقيق المهمّة مع عظيم خطرها،وخاضوا معركة مع عدو لا يرحم حاملين راية الإصلاح بين الخطب وحلق العلم ونشر المقالات مستغلّين كلّ ما أمكن لهم من الوسائل من صحف ومجلّات بصرخة تدقّ أسماع العالم وهي:

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

فوجدت في نفسي رغبة في الكتابة حول جمعية العلماء المسلمين ودورها في توعية الشعب الجزائري من خلال الجرائد والمجلات، وكان الذي لفت انتباهي لأصل هذا الموضوع حينما قرأت كتابا للشيخ العلامة " أحمد حماني" رحمه الله مفتي الجزائر الأسبق بعنوان– صراع بين السنّة والبدعة –واخترت أن يكون عنوان البحث:"صناعة الوعي من خلال الصحافة الإصلاحية"– تجربة البصائر للإبراهيمي أنموذجا–وكان اعتمادي بشكل كبير على "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" للشيخ العلامة الإبراهيمي وخاصة كتاب "عيون البصائر" باعتباره أبرز الكتب التي تجمع مقالات العلّامة.

أما المنهج الذي اخترته لمعالجة الموضوع فهو المنهج التحليلي التاريخي.

وقد ارتأيت تقسيم بحثي على مدخل وثلاثة فصول بعد هذه المقدمة، تتبعها خاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وأخرى للموضوعات.

أمّا المدخل فكان عن تعريف الإعلام الإصلاحي بصفة عامة،وكان الفصل الأول إطلالة تاريخية عن الإصلاح في الجزائر أولا،والصحافة الإصلاحية ثانيا، وتطرقت ثالثا إلى المقال الإصلاحي وخصائصه، ورابعا إلى ترجمة العلامة البشير الإبراهيمي.

أمّا الفصل الثاني فخصّصته لميادين الإصلاح عند البشير الإبراهيمي في القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

وأوردت في الفصل الثالث تلخيصا لثلاث مقالات من كتاب عيون البصائر في كل ميدان من ميادين الإصلاح (الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية).

أمّا الصعوبات التي تواجه الباحثين أثناء عملية البحث، فلا يكاد يخلو أي بحث من متاعب ومصاعب ولعلّ أبرز تلك الصعوبات تتمثل في بعض الكتب التي لم يكن من السهل الحصول عليها.

وبفضل من الله تجاوزت هذه الصعوبات التي أعانني على تذليلها أستاذي المشرف "مداح أحمد" فله مني جزيل الشكر والتقدير وأسأل الله له بالخير دائما.

وأخصّ بالشكر أستاذي الفاضل"قاضي الشيخ" لما قدمه لي من نصح وتوجيه وقراءة وتصحيح وما أفادني به من خبرته وسعة صدره فجزاه الله خير الجزاء.

كما أشكر أساتذتي الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة الذين تجشّموا عناء قراءة هذا البحث وتقويمه، وعلى الله قصد السبيل.

مدخل:

مفهوم الإعلام الإصلاحي

مدخل:

مفهوم الإعلام الإصلاحي:

تعريف الإعلام في اللغة والاصطلاح:

الإعلام لغة:مصدر الفعل الرباعي أعلمَ، يقال:أعلم يُعلم إعلاما...وأعلمته بالأمر:أبلغته إياه، وأطلعته عليه.

جاء في لغة العرب:"**استَعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمني الخبر فأعلمته إياه**".[1]

يقول الدكتور محمود سفر:"**الإعلام في اللغة: التبليغ، ويقال: بلغت القوم بلاغا: أي أوصلتهم بالشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك، ففي الحديث:"بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**".[2]

وقال سيبويه:"وأعلمتُ: كآذنتُ".[3]

أمّا الإعلام في الاصطلاح فله في كتب المعاصرين عدّة تعريفات منها:

1-تعريف الدكتور سامي ذبيان بأنّه:"**هو تلك العملية الإعلامية التي تبدأ بمعرفة المخبر الصحافي بمعلومات ذات أهمية،أي معلومات جديرة بالنشر والنقل، ثمّ تتوالى مراحلها: تجميع المعلومات من مصادرها،نقلها، التعاطي معها وتحريرها،ثمّ نشرها أو إطلاقها أو إرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو إذاعة أو محطة تلفزة إلى طرف معني بها ومهتم بوثائقها**".[4]

---

[1] لسان العرب للعلامة ابن منظور(ت711)تنسيق وتعليق:علي شيري، دار إحياء التراث العربي-بيروت،ط1988،1،ج9،ص371.

[2] الإعلام موقف،د.محمود محمد سفر، مطبعة تهامة/السعودية،1982،ط1،ص21.

[3] لسان العرب، ج9،ص371.

[4] الصحافة اليومية والإعلام،[الموضوع،التقنية والتنفيذ] الإعلام الحديث في النظرية والتطبيق/مدخل نظري وعملي إلى علم الإعلام/د.سامي ذبيان،دار المسيرة للطباعة والنشر،بيروت،1987،ط2،ص35.

ويلاحظ بأن الدور في التعريف يضعفه، فتعريف الإعلام بأنّه العملية الإعلامية دور لايليق بالتعريف العلمي، ثمّ إن تعريفه للإعلام هنا أقرب إلى كونه وصفا لواقع الإعلام من كونه تعريفا جامعا مانعا له.

ماعرّفه به الدكتور محمود سفر بأنه:"**تشر الحقائق والمعلومات الدقيقة الصادقة بهدف التقرير والإقناع**".[1]

ويؤخذ على هذا التعريف كونه بعيد عن واقع الإعلام المعاصر، الذي يبحث عن المعلومة وإن كانت غير دقيقة ولا صادقة لنشرها ويعممها، بل قد يكون الدافع من نشرها الإشاعات، أو الترويج لفكرة ما بغض النظر عن صوابيتها أوعدمها.

3-ماعرّفه به الأستاذ طلعت همام حيث يقول :"**الإعلام هو عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاوبهم وتعاطفهم في الآراء فيما بينهم**".[2]

والملحوظ في هذا التعريف ميل المعرّف إلى جعل الإعلام(عملية تفاهم) وهو مصطلح لابدّ من الوقوف على المراد منه، لمعرفة حقيقة هذا التفاهم وأطرافه ، ثمّ إنّ إدراجه كلمة تعاطفهم التي تعود إلى الناس غير سليمة، فقد لايتعاطف الناس مع حدث ودلالاته الإعلامية، وقد لا يتوجه إليه ميلهم واتجاههم النفسي أو السلوكي.

ثمّ إنّ الإعلام في حقيقته وواقعه لايقوم على تبادلية الآراء بين الناس، أويعتمد من حيث المنطلق على التفاعل الموجود بينهم، لاسيما في المناطق المحتلة وعلى رأسها فلسطين، فالأحداث تتسارع، والإعلام يأتي لتغطية حدث ما، أو للتعامل مع مسألة مستجدة، أكثر من كونه انطلاقا من أسس تفاعلية بين الجمهور.

4-تعريف الأستاذ إبراهيم إمام للإعلام بقوله:"**هو نشر للحقائق والأخبار والأفكار والآراء بوسائل الإعلام المختلفة**".[3]

---

[1] الإعلام موقف، ص21.

[2] مائة سؤال عن الإعلام، طلعت همام، موسوعة الإعلام والصحافة،مؤسسة الرسالة، بيروت ودار الفرقان،عمان،1985،ص07.

[3] الإعلام والاتصال بالجماهير،أ.إبراهيم إمام، مكتبة الإنجلو-مصرية،القاهرة،1969،ط1،ص12.

5-تعريف الألماني المتخصص في شؤون الإعلام"اوتوجروت" للإعلام بأنّه:"**التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت**".[1]

وهذا التعريف فيه المدلول العام نفسه للتعريف السابق للأستاذ طلعت همام ، من حيث إرجاع العمل الإعلامي إلى ميول الناس واتجاهاتها، مع إضافته لمصطلح" التعبير الموضوعي" والذي أرى أنّ الموضوعية أمر نسبي بين وسيلة وأخرى، وبين قائم على الوسائل الإعلامية ومسؤول آخر، والتعميم على الإعلام بهذه الوجهة ليس موضوعيا.

6-ما عرّفه به الصحافيان الفلسطينيان خالد العمايرة ونايف الهشلمون بأنّه:"**عملية نشر المعلومات، وإيصالها إلى الجماهير سواء أكانوا مستمعين أو مشاهدين أو قراء، ويقوم الإعلام على الاتصال الذي يحدث عبر وسائل وكيفيات عدة، مثل الأثير"الخطبة"، والإذاعة، والتلفزيون، والصحافة،وغيرها...**".[2]

وهو"**تعريف قريب من تعريف الأستاذ يوسف العظم للإعلام في مصطلحاته ومضمونه**".[3]

وهذا التعريف قد أغفل ذكر أمور أخرى هي من لب العمل الإعلامي المعاصر، كنشر الآراء، وتعميم الأفكار، وبث الأخبار ونحوها...

"**وقد رجح عدد من العلماء والمختصين تعريف العالم الألماني أوتوجروت للإعلام لتضمّنه مجموعة من الأمور المتعلقة بطبيعة الإعلام ودوره، وقد سماه بعضهم: أوضح تعريف للإعلام**".[4]

ولكني أميل إلى تعريف الأستاذ إبراهيم إمام للإعلام، حيث قام بوضع كلمات منتقاة في التعريف تجعله قابلا لأن يكون جامعا ومانعا.

---

[1] الإعلام موقف، ص22.

[2] الصحافة والإعلام/النظرية والتطبيق/خالد محمد العمايرة ونايف دياب الهشلمون، منشورات دار الوطن،فلسطين،1991،ط1،ص30.

[3] رحلة الضياع للإعلام العربي،يوسف العظم،ضمن سلسلة التوعية الإسلامية/الدار السعودية للنشر والتوزيع-جدة/1981،ط2،ص09.

[4] الإعلام الإقليمي، دراسة نظرية وميدانية،د.إبراهيم عبد الله المسلمي،دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1 ،ص19-20.

وسبب ترجيحي لهذا التعريف، كونه اعتمد على بيان ما ينشره الإعلام المعاصر للناس، وهي"الحقائق والأخبار والأفكار والآراء" وهي في الحقيقة المادة الرئيسية للإعلام.

ثمّ ما جاء في التعريف المقتضب عن اعتماد نشر هذه الأمور على وسائل الإعلام المختلفة، فيه إشارة إلى مجموع وسائل الإعلام دون تحديد، وهو يترك الباب مفتوحا أمام إدراج أي وسيلة إعلامية مستجدة في نطاق التعريف.

ولابد قبل الخوض في غمار هذا البحث من التمييز بين مصطلحات قد تتداخل مع بعضها البعض حينا، وقد تفترق فيما بينها، وذلك حتى يكون الإعلام بوسائله المقصودة في هذا البحث متمايزا عن فنون أخرى مقاربة له، ويخلط البعض بينه وبينها، ومن هذه المصطلحات الشائعة(الاتصال)مثلا.

والاتصال كما يعرفه شانون ويفر عام 1949: "**كافة الأساليب والطرق التي يؤثر بموجبها عقل في عقل آخر باستعمال رموز**".[1]

ويعرفه جورج ليندبرج(1939) بأنّه:"**التفاعل بواسطة الرموز والإشارات التي تعمل كمنبه أو مثير يثير سلوكا معينا عند المتلقي**".[2]

يقول الدكتور إبراهيم السامرائي في بيان الاختلاف بين المصطلحين وتفضيله للإعلام على الاتصال في الإطلاق:"**وهكذا صرنا إلى "الإعلام" منقولا من المصدرية إلى شيء آخر يندرج فيه حشد من الكلم الجديد، على أنّنا قد نجد بين العرب من يؤثر مصطلح "الاتصال"،وإن كان هذا في حقيقته "التواصل" ومهما يكن من هذا الاختلاف، فقد ثبت الإعلام، فكانت مؤسسات الإعلام، ووزارات الإعلام، وغير هذا ممّا يتصل بهذه الممارسات الجديدة**".[3]

---

[1] الاتصال والرأي العام/الأسس النظرية والإسهامات العربية/د.عاطف عدلي العبد،دار الفكر العربي، القاهرة، 1993،ط1،ص12.

[2] المرجع السابق ص12.

[3] المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام،د.إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت،1999،ط1،ص05.

الفصل الأول:

هياكل الإصلاح

1-الإصلاح في الجزائر:

إنّ الإصلاح هو نقيض الفساد"و **أصلح الشيء بعد فساده أي أقامه، وقيل الصلاح هو سلوك طريق الهدى**".[1]

وقد اقترن هذا اللفظ في القرآن الكريم بهذه أي الإفساد يقول الله عز و جل: "**وَ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**".[2]

كما جعله القرآن الكريم جوهر الرسالات السماوية، فوصف به إبراهيم عليه السلام:"**وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**".[3]

و قد جاء في تفسير العلامة عبد الحميد ابن باديس: "**الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة الاعتدال إزاء ما طرأ عليه من فساد، و الإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه، فإصلاح البدن بمعالجته بالحمية و الدواء و إصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة، و إفساد البدن بتناول ما يحدث به من ضرر، و إفساد النفس بمقاربة المعاصي و الذنوب، و هكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح و الفساد في كثير من الأحوال غير أن الاعتدال بالنفوس أهم و ألزم لأن خطرها أكبر وأعظم**".[4]

فالإصلاح من منظور ديني هو: " **عملية تغيرية شاملة ترمي إلى تقويم الاعوجاج في العقيدة و العبادة و السلوك، في الفرد والأسرة و المجتمع، على خلاف ما يزعم المتغربون من أبناء الجزائر وغيرهم الذين أعمى التقليد الأجنبي أبصارهم و بصائرهم، فراحوا يهوّنون من شأن الإصلاح، حتى كادوا يجعلونه نقيصة لا كمالا، و عرقلة لا تقدما..**"[5]

---

[1] منى حسن الدسوقي، الشيخ مصطفى الغلاييني في مفهومه الاصطلاحي، دراسة مقارنة بينه و بين الشيخ الأفغاني و محمد عبده، المكتبة العصرية، ط1، 1419هـ-1999م، ص69.

[2] سورة الأعراف، الآية 56.

[3] سورة البقرة، الآية 130.

[4] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، سنة 1402-1982، ص107.

[5] عبد الرحمن شيبان، -مقدمة مجلة الشهاب- دار الغرب الإسلامي، ص.ب، بيروت، ط1، 2000م، ص23.

ويرتبط الإصلاح بالأزمات التي تحدث في المجتمع و تثير فيه الفوضى، و الإصلاح في الجزائر هو إصلاح من أجل النهوض بالأمة، و بناء ما أفسده الاستعمار الفرنسي، لذلك نجد العلامة البشير الإبراهيمي إهتم به من عدة فروع سياسية و اجتماعية ودينية وثقافية، و كان هو الهدف الرئيسي الذي تأسّست له جمعية العلماء المسلمين.

"**و يرجع أغلب المؤرخين البداية الحقيقية لظهور حركة الإصلاح الديني في الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عند زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة1903**".[1]

فأصبحت الجزائر تتجدد، إلا أنها لم تثمر إلا عندما اقترنت بأعمال الإمام عبد الحميد ابن باديس بعد عودته من الحج عام 1332هـ-1914م، فعزم على خدمة وطنه و أمته "**وأن يسترجع دينه قوته و نفوذه على النفوس نقيا كما بلغه الرسول الأمين عليه الصلاة والتسليم، و أن يعود لأمته ما قد ذهب من عز ومجد أثيل، ودولة موحدة، و سيادة كاملة، وأن يكون وطنه حرا مستقلا كما كان، و كما هو حق كل وطن و أمة في الحرية والوجود**".[2]

وكان العلامة ابن باديس رحمه الله على أتمّ استعداد لمواجهة العقبات و المصاعب "وكان يدرك أن أمامه «**الحالة التعيسة التي بلغنا إليها... من جهل و فقر و سقم و ظلم وإذلال**»[3]، **وكان في الجزائر شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه و قومه، و قطع له من كل شيء-إلاّ منه- أمله، و حقره في نفسه تحقيرا... شباب جاهل أكلته الحانات و المقاهي و الشوارع، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه إلا آلة متحركة في ذلك العمل لا هم له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام**".[4]

---

[1] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من1925 الى1940،بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر،2007،ص36.

[2] أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد ابن باديس، ج1، دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة (الجزائر)، ط1، 1405ه-1984م، ص57.

[3] المصدر نفسه، نقلا عن ابن باديس –الشهاب- صفر 1356هـ، أبريل 1937م، ص57.

[4] المصدر نفسه، نقلا عن ابن باديس –الشهاب- محرم 1357هـ، مارس 1938م، ص57.

فالأمة الجزائرية لشدّة مالاقته من أزمات و محن سكتت و صبرت على المرّ وذلّ الاستعمار و استسلمت له، علما أنها بلاد العزة و الكرامة.

وعمل ابن باديس على إنقاذ شعبه ووطنه بأهداف إصلاحية "**وقد خطط لعمله، وهو مدرك لخطورة ما هو مقدم عليه، و مقدر كل التقدير لما سيصادفه من عراقيل، لقد قرر –بحكمة و حزم– أن يأتي شعبه من أقرب الطرق للنجاح، و أبعدها تأثيرا في النفوس، وأضمنها في الوصول إلى الغاية، هذه الطريقة هي بث التعليم السليم النافع المفيد لإصلاح العقائد وتقويم السلوك، و قبل إعلان الدعوة العامة، لذلك يجب إعداد الأعوان والدعاة، كانت هذه خطة قد رسمها كما كتب بخط يده**".[1]

وبالرغم من أن الخطة كانت بطيئة، و دامت مدة عشر سنوات، إلا أن نتيجتها مضمونة وقد قسمها إلى طورين: " **فقد كان الطور الأول المرسوم في الخطة هو تكوين نشئ علمي، يعني جنودا للدعوة العامة، و كما آن أوان بدء الطور الثاني حاول أن يكون جمعية للعلماء عام 1924م، ثم أنشأ لهذا الطور الصحافة الإسلامية، و الطباعة الوطنية لضمان استمرارها و استقلالها، فأنشأ جريدة "المنتقد" و برز العدد الأول منها يوم عيد النصر 1343هـ 11 جويلية 1925م معلنا هذه الدعوة، فعطلتها السلطة الاستعمارية بعد بروز 18 عددا منها فقط، فأخرج (الشهاب) "لتؤدي نفس مهمتها، و قد استمرت حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام 1939م،و قد أعلن في صدرها [الحق فوق كل أحد، و الوطن قبل كل شيء]**".[2]

وقد وضّح المبدأ الأول أنه رجوع بالمسلمين إلى أصل دينهم و تصحيح عقائدهم فقال: "**كما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسي المتقدم أسست لخدمة مبدأ ديني: وهو الرجوع بالمسلمين إلى جوهر دينهم الأصلي البريء من جميع الضلالات والخرافات والتعصبات، المحرر للعقول، المهذب للنفوس، و الساعي بالإنسانية إلى الصراط**

[1] المصدر نفسه، ص58.
[2] المصدر السابق، ص59.

المستقيم، إلى سعادة الدارين، و لما كانت الطرق في معظم أمرها منبعا لكثير من هذه المهلكات، وقف الشهاب لها وقفاته المعروفة لنقدها و محاولة إصلاحها".[1]

أمّا المبدأ الثاني فهو: "**وجوب إعطاء جميع الحقوق لمن يقوم بجميع الواجبات، و من حقوق الجزائريين تمثيلهم في البرلمان مثل إخوانهم الأوروبيين، فالتمثيل البرلماني واحد من الحقوق الكثيرة الداخلة تحت ذلك المبدأ العام".**[2]

وبيّن الإمام ابن باديس رحمه الله أنه لم يكن يؤمن بإمكانية التحصيل عليه و إنما من أجل إقامة الحجة على الخصم.

وقد كان له شعارين في الإصلاح الديني و الإصلاح الدنيوي فـ" شعاره في الإصلاح الديني قول إمام أهل السنة مالك بن أنس: "**لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**".[3]

أما شعاره في الإصلاح الدنيوي هو:" **الحق و العدل و المؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات**".[4]إنّ العلامة ابن باديس الذي عرفت الجزائر والمغرب العربي و العالم الإسلامي هو العالم العامل، الفقيه المجتهد، و المربي المصلح، كان قلب الجزائر النابض، و ضميرها اليقظ، قضى بياض نهاره و سواد ليله في خدمة دينه و بلاده، و لم يستسلم للاستعمار وبقي ثابتا لآخر يوم من حياته.

وقد وصف العلامة البشير الإبراهيمي الجهود التعليمية التي حققها ابن باديس يقوله: "**ورأيت بعيني النتائج التي تحصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم ابن باديس واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة العلمية المباركة لها ما بعدها وأن هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية الجزائر**".[5]

بالرغم من أن حركة الإصلاح في الجزائر تحمل نفس مبادئ الحركات الإصلاحية السابقة إلا أنها ظهرت بصفة مغايرة و مميزة لأنه: "**لم تقم في أمة إسلامية هيئة علمية**

---

[1] المصدر السابق، ص60.
[2] المصدر السابق، ص59.
[3] نفس المصدر نفس الصفحة.
[4] نفس المصدر نفس الصفحة.
[5] محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 1994م، ص216.

منظمة تعلن الدعوة إعلانا عاما و تصمد للمقاومة غير مبالية بما يؤيد البدع والضلالات من سلطان ديني و سلطان دينوي، غير الأمة الجزائرية فكان من علمائها الأحرار المستقلين الذين لا يعيشون على الوظيف، أولئك الذين نهضوا بالدعوة الإصلاحية منذ بضع عشرة سنة، وجاهدوا فيها لله و صبروا و أسسوا لها أعظم مؤسسة دينية "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" حتى أصبحت الدعوة الإصلاحية، و الفضل لله –و الحمد لله– ثابتة الأركان مشيدة البنيان باسمة الأفنان، دانية الثمار وارفة الظلال، لا على الجزائر وحدها بل على الشمال الإفريقي كله".[1]

بانتشار الإصلاح في الجزائر، أراد الأعداء النيل من سمعة الأستاذ محمد عبده وجمعية العلماء بوصف ذلك ثورة مضادة لحركة جمال الدين الأفغاني مما جعل العلامة ابن باديس يعترف بعظمة الإمامين فقال: "**و نحن نرى أن الإمامين العظيمين كليهما: جمال الدين الأفغاني و محمد عبده كانا على صراط مستقيم، و نحن في هذا الرأي مع نشر ثقافة الجمع و التلاؤم و التكامل و البناء، لا مع ثقافة التفريق و التقاطع والتنازع، والتهديم**".[2]

[1] عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، ص24.
[2] نفس المصدر السابق، ص25.

2-الصحافة الإصلاحية:

تعد الصحافة من أبرز عوامل النهضة العربية الحديثة، و قد عرّفها الجوهري بقوله: "**الصحيفة هي الكتاب**".[1]وجاء في متن اللغة الصحافة: "**حرفة نشر الصحف وعملها**"[2]؛أما في القرآن الكريم فدلت على ما كان ينزل على الأنبياء و المرسلين: "**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمِ وَ مُوسَى**".[3]

أما اصطلاحا: "**فالصحافة وسيلة نقل الأخبار والمعلومات والحقائق وعرضها على الناس وفق ضوابط و قواعد أخلاقية و وظائف إنسانية شريفة...**[4]

"**وتعد الصحافة جزء من الحياة اليومية للقارئ العادي في عصرنا، و هي في الوقت نفسه جزء من الاهتمام اليومي لقادة الشعوب و حكامها، فمن خلالها يرى الناس صورة للعمل الوطني بصفة عامة، ومن خلالها يرى القادة والحكام صورة الأماني الوطنية، واتجاهات الرأي العام...**"[5]

ولقد كانت الصحافة وسيلة لجأ إليها المصلحون لمقاومة الاستعمار، وبث روح اليقظة في الشعوب المسلمة.و"**عرف العرب قبل الإسلام وبعده ما يسمى بـ "الراوي" الذي يتولى مهمة نقل أخبار الأولين و رواياتها، وكان الرواة في بداية الأمر مجرد رسل يرسلهم رئيس القبيلة لتبليغ أمره إلى أفراد القبيلة أو نقل أخبار من قبيلة لأخرى أو إبلاغ أمر خطير إما شفويا أو كتابيا، ثم تطورت مهنة هؤلاء الرسل فأصبحوا يسمون "رواة" يجوبون الأقطار و يروون الأخبار والأحاديث و الأشعار إلى جانب نقل البلاغات والحوادث**".[6]

---

[1]أبو نصر الجوهري، تاج اللغة و صحاح العربية، باب الفاء، فصل الصاد، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م، ط2، ج4، ص1384م.

[2]أحمد رضا، متن اللغة، بيروت، دار المكتبة الحياة، 1959م، المجلد الثالث، ص224.

[3]سورة الأعلى، الآية، 18-19.

[4]فؤاد توفيق العاني، الصحافة الإسلامية و دورها في الدعوة –الرياض- مؤسسة الرسالة 1993م، ص55.

[5]محمد سيّد محمد، الصحافة بين التاريخ و الأدب، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1985م، ص03.

[6]عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، 1978م، ط2، ص26.

ويمكننا القول بأن عمل الرواة مثل عمل الصحفيين، فنعتبر الرواة صحفيين، وقد مرت الصحافة العربية منذ نشأتها بأطوار:

"الطول الأول: أو المدرسة الصحفية الأولى وتمتد من نشأة الصحافة العربية حتى الثورة العربية، و يمثلها كتّاب الصحف الرسميون على رأسهم رفاعة الطهطاوي، و لم تكن هذه المدرسة قوية الأسلوب، متينة العبارة، عذبة الألفاظ، بل كان أسلوبها فج بدائي، قريب من عصر الانحطاط، يزهو بالسجع و المحسنات البديعية المتكلفة".[1]

الطور الثاني:"معه بدأت مرحلة جديدة امتازت بالجنوح إلى التخلّص من السجع والتقليل منه من ناحية، و خدمة الجمهور و نقل انشغالاته من ناحية، وقد تأثرت هذه المدرسة بدعوة جمال الدين الأفغاني، و من كتّابها أديب إسحاق، ومحمد عبده، وإبراهيم المويلحي".[2]

الطور الثالث: "تأثر بالنزعات الوطنية و الإصلاحية... وكان يديره أحزاب سياسية مناهضة للاحتلال... و برز فيه الجانب السياسي و نال الحظوة فيه.

وقد ظهرت فيه طلائع المدرسة الحديثة من أمثال لطفي السيّد، وطه حسين وإبراهيم المازني و عباس محمود العقاد".[3]

الطور الرابع: "وهو المدرسة الحديثة التي بدأت مع الحرب العالمية الأولى، وقد طغى عليها الشأن السياسي".[4]

وببزوغ فجر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم يقتصر نشاطها على التعليم فحسب بل مارست نشاطا إصلاحيا آخر تجلى في الصحافة، و قد كانت أول مبادرة من العلامة السلفي عبد الحميد ابن باديس الذي قرر أن يقاوم الاستعمار الفرنسي من خلالها:**"وقد رأى**

[1] محمد يوسف نجم، فن المقالة، بيروت، دار الثقافة، 1966م، ط2، ص65.
[2] المصدر نفسه، ص66.
[3] المصدر نفسه، ص67.
[4] المصدر نفسه، ص68.

أنه لابدّ من جريدة تظاهر الفكرة و تخدمها فأنشأ جريدة "المنتقد" وهي أول جريدة إصلاحية بالشمال الإفريقي، فكانت أرفع صوت و أفعل وسيلة لنشر الإصلاح الديني، فارتاع لها الاستعمار الفرنسي و عطلها في مدة قريبة بما يملك من قوانين.فأصدر المرحوم جريدة أخرى باسم الشهاب كانت أسد رماية، و أوسع خطى من سابقتها و سكت عنها الاستعمار فنقلها صاحبها من جريدة إلى مجلة، طال عمرها بضع عشرة سنة ورافقت سنوات الإرهاص بجمعية العلماء، فسجلت خطوات الحركة، وكانت لها مواقف رائعة في عدة ميادين، فخدمت العلم و الدين و السياسة و تردد صداها في المغارب الثلاثة، فتركت في كل قطر أثرا حميدا في النفوس وفضحت الاستعمار الفرنسي فضائح لا ينسى خزيها، وبدروس الأستاذ عبد الحميد ابن باديس ومجلة الشهاب استحقّ لقب باني النهضة الجزائرية بجميع فروعها، وأنشأ بعض الإخوان جريدة سماها "الإصلاح" كانت لها جولات في حرب البدع و لكنها لم تعمر إلا قليلا".[1]

وكان ابن باديس رجل إصلاح ناجح، والتقى في المدينة المنورة بالشيخ البشير الإبراهيمي، فعقدوا العزم على تخليص الشعب الجزائري من أوضاعه المزرية، فبإصداره لجريدة المنتقد أراد أن يجعلها مدرسة تعليم و توجيه، و قد كان يهدف إلى التخلص من العقائد الضالة، فقاومت هذه الجريدة الاستعمار و البدع و الضلالات، يقول الدكتور محمد ناصر في كتابه "الصحف العربية الجزائرية": «**إن جريدة المنتقد تعتبر تحوّلا هاما في تاريخ الحركة الفكرية و الأدبية في الجزائر، لأنها تختلف عن الصحف التي سبقتها، سلاسة أسلوب، و متانة لغة، و عمق أفكار، إذ استطاع ابن باديس أن يضمّ إليه خيرة الأقلام العربية، مثل مبارك الميلي، والطيب العقبي، والفرقد، وأبي اليقظان، ومن الشعراء محمد العيد، ومحمد الهادي السنوسي...**».[2]

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج5، دار الغرب الإسلامي، 1977م، ط1، ص.ب، بيروت، ص144.
[2] عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، ص10.

كانت جريدة المنتقد جريئة و لهجتها حارة في الردّ على أهل الضلال ما جعلها تتعطل بأمر حكومي، "**وأشار الشيخ ابن باديس إلى سبب هذا التعطيل في العدد الأول من جريدة (الشهاب) التي خلفت (المنتقد) بعد أسبوعين فقط، فقال: " أثار الذين اعتادوا التملق صدقها، و كبر على الذين تعودوا النفاق صراحتها، و هال الذين اعتادوا الجبن من الرؤساء أو اعتادوا الجمود من الأتباع صرامتها، أجمعت هذه الطوائف أمرها، فأخذوا يسعون في الوشاية لتعطيلها و حمل الحطب للمراجع العليا لحرقها حتّى عطلت**"[1].

وكان مصيرها مثل العروة الوثقى التي أنشأها جمال الدين الأفغاني، وهذا القرار يعني إسكات صوت الحق و تعطيل رسالة الدعوة.ثم خلفتها جريدة الشهاب التي أخذت شهرة واسعة في العالم الإسلامي، يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس في "الشهاب" العدد الأول الصادر في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ الموافق لـ١٢ نوفمبر ١٩٢٥م: "... **سواء علينا أعجبنا أم لم نعجب، فقد وقف (المنتقد) و لكن الفكرة الحرة الحقة السليمة الإصلاحية لم تقف و لن تقف، وقف (المنتقد) فها هو أخوه (الشهاب)**".[2]

وواصلت الشهاب مسيرتها حتى صدمتها أزمة مالية في عامها الرابع فتحولت إلى مجلة شهرية."**وكانت مجلة الشهاب الشهرية راقية تؤرخ للحركة الفكرية و الاجتماعية الجزائرية في مرحلة من أهم مراحلها التاريخية، و كانت بالرغم من (حجمها المتواضع) غزيرة المادة عديدة الأبواب**"[3].

وكانت تخص مشروع ابن باديس الإصلاحي، وكانت صورة لفكره"**فالحركة الإصلاحية بالجزائر تعد امتدادا لأختها في المشرق العربي، وروادها في بلادنا أشقاء زعمائها بالمشرق، و ما ابن باديس و البشير الإبراهيمي إلا الكفة التي لا يستقيم ميزان**

[1] نفس المصدر، ص 10-11.
[2] نفس المصدر، ص11.
[3] نفس المصدر، ص12.

الإصلاح في العصر الحديث إلا بوجودها، و قد يساعدهما في مسيرتهما الإصلاحية ثلة من الأولين و ثلة من الآخرين من العلماء المسلمين".[1]

فبتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "**تعززت الصحافة العربية بجرائد الجمعية و هي (السنة) (قسنطينة ١٩٣٣) و (الشريعة١٩٣٣)، و (الصراط ١٩٣٣-١٩٣٤)، و(البصائر) (الجزائر١٩٣٥)، التي كتب لها البقاء في أربع سلسلات، أولاها في عهد ابن باديس، والثانية في الفترة ما بين (١٩٤٧و1956) في عهد الإبراهيمي، والثالثة أصدرتها الجمعية الخالدة المبادئ في عهد الاستقلال (سنة١٩٩٢)، وقد صدر من هذه السلسلة الأخيرة ستة وعشرون عددا، كان لكاتب هذه المقدمة شرف رئاسة تحريرها، ولو لا العجز المالي والظروف الحرجة التي تجتازها الجزائر في الحقبة الأخيرة، لما توقفت.**

استأنفت (البصائر) الصدور في ١٨ صفر ١٤٢١ (٢٢ ماي ٢٠٠٠)، لمواصلة كفاحها و دعوتها الأصيلة القائمة على وحدة الشعب الجزائري في عروبته وعقيدته الإسلامية، ولغته و تاريخه".[2]

فمجموع هذه الصحف كان له الأثر في النهضة الوطنية في جميع المجالات، والصحافة الإصلاحية راحت تبث الإصلاح في أبناء الوطن العربي و الإسلامي عكس ما كان يرمي إليه الاستعمار الفرنسي.

والعلامة عبد الحميد ابن باديس كان من أوائل الجزائريين المتفطنين لأهمية الإعلام ودوره في توعية الشعوب والأمم، والنضال ضد المستعمر، فهو بذلك عملاق من مصلحي العصر الحديث.

[1] محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر-مؤثراتها- بدايتها- مراحلها- مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003م، ص53.
[2] عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، ص 13-14.

3-المقال الإصلاحي و خصائصه:

مفهوم **المقال لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور: "**قال يقول قولا وقيلا وقوله ومقالا ومقالة، وأنشد ابن برّي للحطيئة يخاطب عمر رضي الله عنه: "تحنّن عليّ هداك المليك فإنّ لكل مقام مقالا"**[1]؛ أمّا المعاجم اللغوية العربية فتجمع على أن المقال من الفعل قول: " **قال يقول و قالا وقيلا و قوله ومقالا ومقالة: تلفظ أي تكلّم... المقالة: القول أي القطعة من الكتاب**".[2]

أما اصطلاحا: يقول {*أدموند جوس EDMONDGOSSE*}عن المقال بأنه "**قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نثرا، وتلمّ بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة، ولا تعني إلا بالناحية التي تمس الكاتب عن قرب**"[3]، وقد أعطى يوسف نجم تعريفا جامعا له بقوله: "**قطعة نثرية محدودة في الطول، والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة و الرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب**".[4]

لقد ذكرنا عدة تعريفات عن الإصلاح، و بما أنه مكافحة للفساد و المفسدين وأنه من أعمال البر المنجية، فقد كانت مهمة الأنبياء و الرسل إصلاح حياة البشر ومصارعة المفسدين ولم يهنوا ولم يضعفوا.والحركة الإصلاحية هي وسيلة لإصلاح أوضاع المجتمع المتردية، وقد زخر المشرق والمغرب العربي بمجموعة من الأدباء المصلحين أمثال جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وعبد الحميد ابن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد بن علي السنوسي، وقد كان هدفهم الإصلاح بأتمّ معناه.

*المقال الإصلاحي في العالم العربي:

[1] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، م5، ج39، دار المعارف، القاهرة، ص 3778.
[2] لويس معلوف، المنجد في اللغة و الأدب و العلوم، المطبعة الكاثوليلية، ط19، بيروت، 1996، ص663.
[3] محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، ط4، 1996، بيروت، ص94.
[4] نفس المصدر السابق، ص95.

يعني المقال الإصلاحي بالقضايا الاجتماعية و السياسية و الدينية، يبرز فيه الكاتب رأيه الخاص لتوعية الجمهور القارئ.وقد كانت مقالات الأدباء والمفكرين الإصلاحيين في الصحف: "**شديدة الحماسة، دافئة العطف بل حارّتها، قويّة اللهجة، مشبّعة بالإيمان الشديد بالمبدأ الإصلاحي، فكانت تعمل عملها في القلوب و تؤتي أكلها الطيب في الإبّان المطلوب**".[1]

***المقال الإصلاحي في المشرق العربي:**

يعدّ جمال الدين الأفغاني من المصلحين الحقيقيين، حيث دعا إلى إصلاح العقول والنفوس وبثّ روح الثورة فيها، وعارض سياسة الحكّام، ونشر رسائل ومقالاته في صحف ومجالات عديدة منها مجلة العروة الوثقى: "**فإن كان محمد بن عبد الوهاب يرمي إلى إصلاح العقيدة، و مدحت باشا يرمي إلى إصلاح الحكومة والإدارة، فالسيد جمال الدين يرمي إلى إصلاح العقول و النفوس –أولا– ثم إصلاح الحكومة –ثانيا– وربط ذلك بالدين**"[2]؛ أما الشيخ محمد عبده فقد كانت أول صيحة له في العالم الإسلامي وهدفه توسيع مجال سماحة الإسلام و انفتاحه، و قد شغله كثيرا وضع المجتمع و قد قال عنه العلامة البشير الإبراهيمي: "**إن أول صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صيحة إمام المصلحين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه، وأنه أندى الأئمة المصلحين صوتا، وأبعدهم صيتا في عالم الإصلاح، فلقد جاهر بالحقيقة المرة وجهر بدعوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الرجوع إلى الدين الصحيح و التماس هديه من كتاب الله ومن سنة نبيه**".[3]

أما العلامة عبد الرحمن الكواكبي فرأى أن انحطاط الأمة هو إعراضها عن الدين، وغياب الحرية في الممارسة السياسية، وتفشي الآفات الاجتماعية كالجهل والفقر، ونشر

[1] عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931م-1945م، ص151.
[2] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، د ت، بيروت، ص59.
[3] محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج1، ص177.

كتابه (طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد) الذي جمع فيه مقالاته التي تصدر في بعض الصحف المصرية و قال عن هذا الكتاب: " **إنّي نشرت في بعض الصحف أبحاثا علمية سياسية في طبائع الاستبداد، منها ما درسته، و منها ما اقتبسته، غير قاصد بها ظالما بعينه، و لا حكومة مخصصة، إنما أردت بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدّفين، عسى أن يعرف الشرقيون أنهم هم المتسببون لما هم فيه، فلا يعتبون على الأغيار، ولا على الأقدار...**".[1]

***المقال الإصلاحي في المغرب العربي:**

لقد كان العلامة محمد الطاهر بن عاشور سباقا في حمل راية الإصلاح في المغرب العربي، وقد بين رؤيته الإصلاحية في كتابه (أليس الصبح بقريب؟) وبين ضرورة إصلاح التعليم: " **كان من الانجازات التاريخية التي تحققت على يديه إنشاء فروع للجامع في أطراف البلاد التونسية، و هي أمنية من أمنياته، يقول: كان إحداث تعليم منظم بفروع للجامع الأعظم من أهم ما سعيت إليه أيام ما قمت بخطة نيابة الدولة لدى النظارة العلمية... و به غرست نواة درجة التعليم الإسلامية المنظم... وعدّ يومئذ تقدما عظيما، و سطرا من التاريخ قويما**".[2]

و كانت له عدة مؤلفات و مقالات لا تحصى في مجلة (السعادة العظمى).

_لقد سمّى العلامة الإبراهيمي مقالاته باسم عيون البصائر لأن:" **لكلمة العين في لغة يعرب لمعان كثيرة، منها: العين، نبع الماء، و الماء هو مصدر الحياة، فكأن عيون البصائر ماءا فكريا تحيا به العقول، كما تحيا بالماء الحقول، و قد كانت عيون البصائر (ماءا حيويا) ضد (الأفكار الميتة) التي يشيعها الطرقيون و الضلّال، وضد (الأفكار القاتلة) التي يبثّها أرباب (المخابر الفكرية) الفرنسية، وأتباعهم من (المسلمين) والعين،**

[1] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص254.
[2] اسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ص88.

هي آلة الابصار التي تمنع المرء من الوقوع في المطبات، والاصطدام بالأشياء، و قد كانت هذه المقالات عيونا أبصر بها الجزائريون طريقهم، ورأوا بها عدوهم، و أبصروا بها حقائق دينهم ودنياهم، والعين هو النفيس من كل شيء، وقد كانت هذه المقالات و ستبقى من أنفس ما دبّجته الأقلام، و أبدعته الأحلام، من معاني فحلة في عبارات جزلة"[1].

والمقال نشأ في أحضان الحركة الإصلاحية التي كان كتابها يعبرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الحياة والمجتمع."**ويمكننا أن نميز بين نوعين من المقال الأدبي ظهرا في النثر الجزائر يالحديث، وهما المقال الأدبي الإنشائي و المقال الأدبي الإصلاحي، وقد ساعد على انتشار النوعين عامل أساسي يتمثل في الصحافة التي أدت دورا هاما في ذيوع هذا الشكل النثري، كما ساعدت على انتشار غيره من أشكال التعبير نثرا و شعرا".[2]**

***الخصائص الفنية للمقالة الأدبية:**

"إذا كان الناس يطلقون على الصحافة اسم السلطة الرابعة في الدولة لما لها من تأثير في تكوين الشعوب، فإننا نستطيع القول بأن الصحافة الإصلاحية في الجزائر، وهي تحت سمع الاستعمار و بصره يصح أن يطلق عليها اسم السلطة الأولى لما كان لها من آثار مباشرة في توجيه الشعب الجزائري، و تثقيفه و إعداده للمعركة الفاصلة"[3]

.فالمقالة الأدبية في الجزائر مرتبطة بالصحافة، لأن المقالة هي الأداة التعبيرية التي يستعملها المبدعون لنشر أفكارهم رغم ما تلاقيه من اضطهاد و تنكيل، و أدب المقالة يمثل جوهر الإصلاح في الدفاع عن الإسلام و اللغة و الوطن،فقد كانت "**صحف الاتجاه**

[1] المصدر نفسه، ص 32-33.
[2] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 1981م، ص135.
[3] محمد ناصر، المقالة الصحفية، ص06.

الإصلاحي خاصة لا تنشر من المقالات إلاّ ما استوت فيه عربية قائمة على احترام القواعد النحوية، مستكملة لأسباب الفصاحة".[1]

وكانت المقالة الأدبية تعالج قضية الجزائر بكل أبعادها التاريخية والاجتماعية والسياسية، وصحف جمعية العلماء المسلمين، و مصلحيها أمثال البشير الإبراهيمي وعبد الحميد ابن باديس و الطيب العقبي و مبارك الميلي و غيرهم " **ممن انتعشت المقالة الأدبية بفعل أقلامهم، و نتق قرائحهم و بعد هممهم في إحياء العربية و بعث الأدب في هذه الربوع**"[2]، كما "**نشأ عن الصراع الفكري حركة أدبية خصبة في الجزائر فظهرت المقالات ذات النفس الطويل و الأسلوب الأنيق و التحليل المنطقي العميق...**".[3]،

وقد مثلث مقالات الإبراهيمي نموذج المقال الأدبي الإصلاحي بأتم معناه، فعبر فيها عن الإصلاح بأسلوب أدبي، وتناول قضايا عديدة منها السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية.

"**و المقالة الأدبية تمتاز بـــ:**

- **استعمال أسلوب الأطناب.**
- **استخدام الخيال المولد للصور المعبرة عن العاطفة.**
- **استخدام العبارات الجزلة و الألفاظ المعبرة الموحية.**
- **عمق الأفكار و وضوحها.**
- **سلامة اللغة و صحتها".**[4]

[1] جريدة البصائر، العدد 165، سنة 1939م، ص08.
[2] عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص87.
[3] نفس المرجع، ص88.
[4] الأستاذ مصطفى بن الحاج، دروس التقويم النقدي و الروافد اللغوية –المحور التاسع- سفير اللغة والأدب- شبكة الانترنت.

4-العلامة محمد البشير الإبراهيمي:

ولد العلامة البشير الإبراهيمي في الثالث من شوال سنة 1306هجري، الموافق للرابع عشر من جوان سنة 1889 ميلادي،في القبيلة الشهيرة ب" أولاد إبراهيم" بدائرة سطيف.

يقول العلامة رحمه الله:"**نشأت على ما نشأ عليه أبناء البيوتات العلمية الريفية من طرائق الحياة، وهي تقوم دائما على البساطة في المعيشة والطهارة في السلوك والمتانة في الأخلاق والاعتدال في الصحة البدنية...قام على تربيتي وتعليمي من يوم درجت عمي شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد مكي الإبراهيمي عالم إقليمنا المعروف بوطن ريغة، وفريد عصره في إتقان علوم اللسان العربي...لم أفارق في تعلّمي بيت أسرتي فهي مدرستي التي تعلّمت فيها وعلّمت، أخذني عمي بالتربية والتعليم، فكان لايخليني دقيقة واحدة من فائدة علمية، وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع والمحفوظات حتّى لا أملّ...مات عمي سنة 1903 ولي من العمر أربع عشرة سنة، ولقد ختمت عليه دراسة بعض الكتب وهو على فراش المرض الذي مات فيه، وأجازني الإجازة المعروفة، وأمرني بأن أخلفه في التدريس**".[1]"

وقد تفقه وتأدب في رحلة إلى المشرق سنة 1911 فأقام في المدينة المنورة إلى سنة 1917، وفي دمشق إلى حوالي 1921".[2]

وقد التقى بالمدينة المنورة رفيق دربه العلامة عبد الحميد ابن باديس في موسم الحج،"**وعاد إلى الجزائر وقد نشطت حركة صديقه العلامة "عبد الحميد ابن محمد ابن باديس"، وأصبح له نحو ألف تلميذ، وأنشأ "جمعية العلماء" سنة 1931 وتولّى ابن باديس رئاستها والإبراهيمي النيابة عنه**".[3]

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي،ج5،ص164.
[2] العلامة محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، مقتطفات من نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008، ط1، ص09.
[3] المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

وجاءت سنة 1940 تحمل وفاة العلامة ابن باديس، وقد كان البشير الإبراهيمي قد أبعد من قبل الاستعمار الفرنسي إلى صحراء وهران، فقرّر رجال الجمعية انتخابه رئيسا لها رغم غيابه، ولم يوهن النفي من تحمّله المسؤولية.

"وبقي الشيخ الإبراهيمي سجينا في معتقل "آفلو" من سنة/1940/ إلى سنة/1943/ ثمّ أطلق سراحه، فأنشأ في عام واحد/73/ مدرسة بل كتّابا، وكان الهدف نشر اللغة العربية، وجعل ذلك عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، إبعادا لتدخل سلطات الاحتلال".

كما تهافت الجزائريون على بناء المدارس، فزادت على/400/مدرسة، فهال ذلك المستعمر الفرنسي الذي كان يصبّ جهوده في فرنسة وتنصير الشعب الجزائري، فقام باعتقال الشيخ الإبراهيمي وزجّه في السجن العسكري سنة/1945/، ومارس عليه أصناف التعذيب المتوحشة".[1]،

ورغم السجن إلّا أنّه واصل جهاده بالقلم واللسان حتى صار"**قائدا للحركة الدينية والعلمية والثقافية في الجزائر، يجوب ربوعها معلّما وموجّها ومرشدا، يوحّد الصفوف ويؤسس المدارس والمساجد والنوادي، ويهيئ العقول لساعة الصفر التي كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية".**[2]

ثم سافر للمرة الثانية إلى المشرق العربي سنة 1952"**لطلب الإعانة المادية والمعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها وجهادها، والتعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط السياسية في الدول التي زارها أو التقى مسؤوليها، ولدى جامعة الدول العربية".**[3]"**وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، في ذلك الوقت الذي لا يتمكن من نيل العضوية فيها إلّا فحول العلماء".**[4]

---

[1] نفس المصدر،ص10.
[2] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1،ص11.
[3] المصدر نفسه،ص12.
[4] العلامة محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، ص10.

توفي رحمه الله في ال20 ماي 1965م بعد عودته إلى الجزائر.

"فهو صاحب حس أدبي مرهف وشاعرية فياضة وله شعر جميل منه"ملحمة" في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار، في ستة وثلاثين ألف بيت مازالت مخطوطة.فكان مشهورا بقوّة الحافظة حيث كان يحفظ أصول الأدب ككتاب"أدب الكاتب"، و"البيان والتبيين"،و"الأمالي" للقاري، وله من العمر أربعة عشرة سنة.

وقد تخرج على يديه علماء كبار، وفي إحدى زياراته لدمشق درّس تحت قبة النسر في "الجامع الأموي" الحديث النبوي، وانبهر النّاس عندما رأوه يروي الأحاديث مسلسلة الإسناد منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما كانت له مقالات رائقة ينشرها في جريدة "البصائر"الصادرة عن "الجمعية" بالجزائر وهو رئيس تحريرها، فجمعت المقالات في كتاب "عيون البصائر"وهو مطبوع.وله كتب مازالت مخطوطة،منها:"شعب الإيمان"في الأخلاق والفضائل،و"التسمية بالمصدر"و"أسرار الضمائر العربية"و"كاهنة الأوراس"قصة روائية و"نشر الطيّ من أعمال عبد الحيّ" ابن عبد الكبير الكتاني، في نقد سيرته.

ولقد خصّه الأستاذ محمد الطاهر فضلاء، بجزء مستقل من كتابه"أعيان الجزائر" سمّاه:"الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي"مطبوع في 225 صفحة.

والعلامة الإبراهيمي من خطباء الارتجال، المفوّهين، الذين يغرفون الكلام غرفا من معين تراث هذه اللغة وأدبها).[1]

فرحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.

[1] محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، بتصرف مني، ص10-11.

الفصل الثاني:

ميادين الإصلاح

1-الإصلاح في القضايا الدينية:

يعدّ العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى رائدا من رواد الإصلاح في الجزائر، فهو من العلماء الأفذاذ الذين عرفهم التاريخ.وقد ظهر صوته في مرحلة تاريخية حسّاسة ، قضى فيها الاستعمار الفرنسي على الجزائر و تمكن منها حيث يقول: "**جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت، فوجد هذه المقوّمات راسخة الأصول، نامية الفروع، على نسبة من زمنها، فتعهد في الظاهر باحترامها، و المحافظة عليها، و قطع قادته وأئمته العهود على أنفسهم و على دولتهم ليكونّ الحامين للموجود المشهود من عقائد ومعابد وعوائد، و لكنهم عملوا في الباطن على محوها بالتدريج، و تمّ لهم -على طول الزمن بالقوة و بطرائق من التضليل و التفضيل- جزء ممّا أرادوا، و الاستعمار سلّ يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح، و هو في هذا الوطن قد أدار قوانين على نسخ الأحكام الإسلامية، و عبث بحرمة المعابد، و حارب الإيمان بالإلحاد، و الفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية، و البيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير**".[1]

وكان الهدف من الإصلاح الديني هو إصلاح عقائد المسلمين، و ربطهم بالكتاب والسنّة و السّلف الصالح فقال:" **و لاشك أن إصلاح العقيدة هو أساس كل إصلاح، فقد قال الإمام مالك(رضي الله عنه): ("لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وهو الشعار الذي رفعه المصلحون في الجزائر و جسّدوه في أقوالهم و أفعالهم، وكتاباتهم، فها هو الشيخ مبارك الميلي، مؤرخ الجزائر وأحد علمائنا، يكتب في العشرينات في أحد**

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، دار الفكر الغرب الإسلامي، ط1، 1997، بيروت، ص: 46-47.

أعداد جريدة "المنتقد"، "من حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها، فقد عرّض وحدتها للانحلال و جسمها للتلاشي، و صار هادما لعرشها بنيّة تشييده").[1]

فإذا اتجهنا إلى مقال الأديان الثلاثة في الجزائر يقول البشير الإبراهيمي رحمه الله: "**تتجاوز في الجزائر أديان ثلاثة، أصلها من السماء و إن أخلد أتباعها إلى الأرض، و أساسها التوحيد و إن شانها أهلها بالتثليث أو الوثنية، و كتبها وحي إلهي، و لكن وصمها بعضهم بالتحريف و التبديل، و خلطها بعضهم بالأجنبي و الدخيل، و عاملها بعضهم بالتأويل و التعطيل**".[2]

ويتجلّى من خلال قوله أنه كان داعيا إلى التوحيد و التوحيد في اللغة:" **مشتق من وحّد الشيء إذا جعله واحدا، فهو مصدر وحّد يوحّد، أي جعل الشيء واحدا. وفي الشرع: إفراد الله-سبحانه- بما يختص به من الربوبية و الألوهية و الأسماء والصفات**"[3].

فقد كان العلامة رحمه الله تعالى محاربا للصوفية و خرافاتهم و شركياتهم ومتأثرا بتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الإصلاحية".

و يتضح ذلك عندما نراه يعلل هجوم المتاجرين بالدين على هذه الدعوة السنية الإصلاحية في البلاد الحجازية التي سماها خصوما بـ"الوهابية" تنفيرا و تشويها- لأنها قضت على بدعهم، وحاربت خرافاتهم فيقول:

...إنّهم موتورون لهذه الوهابية التي هدمت أنصابهم، و محت بدعهم فيما وقع تحت سلطانهم من أرض الله، و قد ضجّ مبتدعة الحجاز، فضج هؤلاء لضجيجهم و

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، بيروت، ص08.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص78.

[3] الشيخ محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، ص05.

البدعة رحم ماسة، فليس ما نسمعه هنا من ترديد كلمة "وهابي" تقذف في وجه كل داع إلى الحق إلا نواحا مردّدا على البدع التي ذهبت صرعى هذه الوهابية".[1]

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كان مجدّدا لدعوة الإسلام، متّبعا لمذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في الأصول و الفروع متّبعا للكتاب و السنة.

كما كان البشير الإبراهيمي يشنّ حربا على أهل البدع، مبغضا لهم، و هذا موقف سلفي مشرّف من شيخنا بيّنه بقوله: " **و لقد رأيت بعينيّ معا منذ سنين في طريق باب منارة من تونس، عالما يعدّ في الطبقة الممتازة في علماء جامع الزيتونة، يهوي بالتقبيل على يد مخرف مبتدع جاهل متعاظم، لو حكّمت لحكمت بأن يكون عبدا لذلك العالم، فرأيت يومئذ كيف تعبد الأصنام، و علمت كيف يكون العالم سبّة للعلم، و خطر ببالي قول المتنبي !**

و قد ضلّ قوم بأصنامهم فأمّا بزقّ رياح فلا

وسقط ذلك العالم من حسابي، فما ذكرته بخير حيا، و لا ترحمت عليه ميتا، و لا عددت موته –موت العلماء–ثلمة في الإسلام!...."[2]

فالبدعة في الدين محرّمة لقوله صلى الله عليه و سلم: "**وَ إِيَّاكُمْ وَ مُحَدَّثَاتِ الأُمُور، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، و كلّ بدْعةٍ ضَلاَلَةٌ**".[3]

و الإمام الإبراهيمي كان على طريق النبي صلى الله عليه و سلم ووضّح أن العلماء لم يكن الله ليظلمهم و لكنهم ظلموا أنفسهم بسبب عدم شكرهم نعمة الله عليهم، فلوا كانوا قادة و كانوا أحياء الضمائر لوجد منهم الاستعمار حصونا تصدّ.

---

[1] مقالة بقلم الشيخ حسن آل سلمان من علماء الأردن، نشرت بمجلة الأصالة العدد 01، بعنوان "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي".

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص310.

[3] رواه أبو داود (الحديث رقم 4607).

وجاء في مقال إمّا سنة وإمّا بدعة ردا على جريدة لسان الدين:"دين العليويين" في العدد22 مقالا تحت عنوان "**المصلحون يحاربون لا إله إلا الله، تعرضت فيه لجنازة مرت في تلمسان و تهافتت فيه على الافتراء و البهتان أيما تهافت و زورت فيه ما شاءت أن تزور**".[1]

فجاء ردّ العلامة المفحم بقوله: "**و نحن ما كنا لنتعرض لها كما هو دأبنا مع مثيلاتها من عيون الاستعمار و فضول الخرافات لولا ما يحتّمه علينا واجب أداء شهادة لله و لرسوله وللمؤمنين**"[2]، كما وضح ذلك أيضا: " **و لو كانوا ممن يبتغي إلى الله سبيلا كما يزعمون لكفاهم أن ينظروا كتاب الجنائز من موطأ مالك (رض) أو من البخاري أو مسلم أو غيره هذه من كتب الحديث الصحيحة و لكنهم اشربوا حب البدعة حتى الثمالة، فمالنا نجادلهم بالحديث و بالكتاب المنير، و هم لم ينتقدوا حتى للفقهاء الذين يدعون أنهم لهم مقلدون؟**[3] ".

فقد حارب رحمه الله تعالى العقائد الشركية و البدع و الرذائل، و دعا إلى الإسلام الصحيح، وأصلح كل ماأفسد في مجال الدين و العقيدة الإسلامية، و لم يهن الاستعمار والخونة وأهل البدع و الضلال من عزيمته، و إنّما ثابر في سبيل تحقيق الإصلاح و رفع رايته عاليا. ولم يقتصر الإصلاح على هذا الجانب فقط، فقد شكلت قضية تدخل الحكومة الفرنسية الهاجس والشغل الشاغل للعلامة الإبراهيمي فقد دعا إلى فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية فقال: "**لأنها دولة نصرانية في الجوهر، لائكية في المظهر، و في كلتا الحالتين لاحقّ لها في الإشراف على الدين الإسلامي، أما اللائكيون عندنا فهدفهم هو**

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج1، ص289.

[2] المصدر نفسه ،ص289.

[3] المصدر نفسه، ص290.

القضاء على الإسلام في الجزائر، و دعوتهم هذه مرحلة من مراحل تحقيق ذلك الهدف".[1] وهذا من فقهه رحمه الله.

ففي قضية الحج مثلا اعتبر أن السكوت المتعمّد هو انتظار لقيام الحجة حيث قال: **"سكتنا مع مرارة السكوت- لا رضى بما تصنع الحكومة في شعيرة إسلامية محضة، ولا إقرارا لعبثها بديننا، و لكننا سكتنا انتظارا لإنسدال الستار حتى تقوم الحجة وتنقطع المعاذير، فنضيف قضية الحج إلى قضايا المساجد و الأوقاف و التعليم الديني، ونحمل الحملات الصادقة في سبيل تحريرها، فلتعلم هذه الحكومة السائرة على منهج لا يتبدّل في احتكار أمور ديننا أننا سائرون على منهج إلا يتبدّل في المطالبة بحقّنا الطبيعي، و في التظلّم منها و التشنيع عليها ، و أننا لها بالمرصاد".**[2]

وهذا يدل على ثبات و صمود العلامة في وجه الحكومة الفرنسية الظالمة، و ذلك من أجل رفع الظلم و الغبن و الصبر على الإصلاح الديني.

إن الاستعمار الفرنسي كما ذكره العلامة الإبراهيمي هو أخبث أنواع الاستعمار، فالحج في نظرهم أداة لاستبعاد الأمم الإسلامية ، فشرط الإستطاعة الذي ذكره المولى عز و جل في كتابه الكريم لا يكفي في التثقيل على المسلم بنظر الاستعمار فأضافوا، شروطا تعجيزية ومن بينها:

أولا: **البراءة من التهم و الاجرامات المدينة و السياسية:**[3]

وهذا ما جعل العلامة محمد البشير الإبراهيمي يثور و يتعجب أن يكون الإجرام المدني والسياسي مانعا من الحج و ذكر: "**إن في الإسلام شيئا لا يعرفه الاستعمار و لا يفقه له معنى لأنه لم يتصف به و لا مرة، و هذا الشيء هو "التوبة"، فالمسلم إذا تاب من كبيرة**

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص73.

[3] المصدر نفسه، ص75.

يعتقد أن من كمال التوبة أن يكثر من الطاعات و منها الحج، و على هذا فالمذنبون هم أحق الناس بالحج".[1]

كما قال بأن الدين المظلوم هو الإسلام في الجزائر من خلال مقاله المسمّى بالدين المظلوم"**والدّين المظلوم في زماننا هو الإسلام في الجزائر: مظلوم من أهله، إذا لم يدافعوا عنه،ولم يأخذوا له بحقه من ظالمه، و مظلوم من هذه الحكومة ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة، لابما يوحيه الحق و العدل، و ظلم ذوي القربى أشد مضاضة، وأشنع غضاضة، و لا نتحدث عن الغابرين الذين فرّطوا في جنب دينهم حتى أضاعوه من أيديهم فأضاعوا الرشد، و رضوا بالحجر، كمن أضاع بالسفه أرضه، و قنع بأن يبقى فيها أجيرا، لا نتحدث عن هؤلاء الذين أضاعوا التراث و تركونا نحاول انتزاعه من بين الأنياب و البراثن فهم أمة خلت: إلى الله إيابها، و عليه حسابه".**[2]

لقد كان الإمام الإبراهيمي رجل أمة حمل أعباءها و أثقالها، و عمل على إصلاحها، و أراد أن يعيدها كما شاء المولى عز و جل (خير أمة آخرين للناس).

"**فالإصلاح الديني هو اسم يهيج أصحاب البدع و الضلالات من المسلمين في الدرجة الأولى و يهيج الاستعمار الخارجي في الدرجة الثانية".**[3]

وقد أعجبني قول العلامة رحمه الله:

لاَ نَرْتَضِي إِمَامَنَا فِي الصَّفِّ مَا لَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا فِي الصَّفِّ.[4]

أي لا نرتضي إماما يؤمنا في الصلاة، ما لم يكن قائدنا في الثورة، فهو مؤمن بها و مؤيد لها و داع إليها،"**وإنّ مقالاته تؤكد أن الإمام كان في مقدمة صفوف أمته و شعبه، يقود**

---

[11] المصدر نفسه، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص138.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج05، ص144.

[4] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص32.

أنصار الحق، ويضرب الأمثال للناس في الصدع بالحق، و الثبات عليه، وعدم التفريط فيه مهما تكن الابتلاءات و تتوال الامتحانات.

إنّ من أهم أسباب نجاح الإمام الإبراهيمي في أداء الأمانات الثقيلة التي حملها، و لم يؤده حفظها، أنّه لم يكن يسعى لدنيا يصيبها، أو لزعامة زائفة ينالها، و لكنه كان يجاهد في سبيل رفعة الإسلام، في سبيل إستعادة سيادة الجزائر، و في سبيل عزّة المسلمين".[1]فالإصلاح كما قال الله تعالى: **﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** .[2]

والإصلاح واجب كل مؤمن و مؤمنة **و "الإصلاح الديني المنشود هو عمل وقائي وعلاجي أي مهمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و هي أمانة في ذمة المؤمنين و المؤمنات ما دامت السماوات و الأرض".**[3]

وقد أوتي القائد الثاني للحركة الإصلاحية بعد العلامة ابن باديس رحمه الله، الإمام البشير الإبراهيمي ما جعله يحظى بقيمة و مكانة في الأمة. وقد قال فيه الفيلسوف المرحوم الأستاذ منصور فهمي حينما استمع إلى محاضراته: **"إن هذا المنبر الذي يقف فيه الشيخ ساحة مقدسة، ينبغي أن يدخلها الناس كما يدخلون الحرم، و قال: إنه لم يسمع و لم ير –في حياته– من هو أفصح أو أبلغ من الشيخ الإبراهيمي، ودعا جميع العلماء الأدباء في الوطن العربي إلى أن يلقوا إليه مقاليد اللغة والبيان، ثم خاطب الشيخ قائل: "أنت ملك العربية لهذا العصر، ملكت ناصيتها و نواصيها**[4]"

---

[1] المصدر نفسه، ص32.

[2] سورة هود (برواية حفص عن عاصم)، الآية 88،

[3] أحمد طالب الإبراهيمي،آثار البشير الإبراهيمي ،ج2،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997،ط1،ص07.

[4] المصدر نفسه،ص08.

2-الإصلاح في القضايا الاجتماعية:

إن تأمّل مشروع الإصلاح للعلامة البشير الإبراهيمي نجده يركّز فيه على الإصلاح الاجتماعي قبل الإصلاح الديني و قد بيّن ذلك من خلال خطبة ألقاها حيث قال:" **أيها الإخوان: من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس، و من فروع هذا الغلط ما رماه به بعض مرضى العقول و صرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حيث زجت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين و الحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني و للإصلاح الاجتماعي، و كل ذلك يسع الإسلام، و كل ذلك يسعه مدلولها و موضوعها وقانونها، فالإسلام دين و اجتماع، وإذا كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف، و إن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي**".[1]

ولقد وضّح أن هذين الاصلاحين متلازمين و أنّ المسلم لا يستقيم في دينه حتّى تستقيم اجتماعيته، و قد وجّه في هذا الصدد كلمة نحو الجهّال الذين نظروا إلى جمعية العلماء المسلمين أنّها جمعية حشرت حالها في أمور الحياة، و أنها تسعى للإصلاح الديني فقط فقال: "**و يا ريح الجاهلين، أيريدون من كلمة الإصلاح أن نقول للمسلم قل: لا إله إلا الله مذعنا طائعا و صلّ لربك أواها خاشعا، و صم له مبتهلا ضارعا، و حج بيت الله أوابا راجعا، ثم كن ما شئت نهبة للناهب، و غنيمة للغاصب، و مطية ذلولا للراكب، إن كان هذا ما يريدون فلا وقرة عين، و إنما نقول للمسلم إذا فصلنا: "كن رجلا عزيزا قويا عالما هاديا محسنا كسوبا معطيا من نفسك آخذا لها عارفا بالحياة سبّاقا في ميادينها، صادقا صابرا هيّنا إذا أريد منك الخير، صلبا إذا أردت على الشر**"[2].

---

[1] أحمد طالب الابراهيمي،آثار البشير الابراهيمي،ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997،ط1،ج1،ص282،283.

[2] المصدر نفسه،ص283.

فعمل على إصلاح قضايا المجتمع الجزائري من زواج و غلاء في المهور و طلاق، فكان يعرض المشكل في مقاله ثم يقترح الحلول المناسبة.

كما وضح في قضية الزواج والمغالاة في المهور، أن أكثر الشباب يعرضون عنه إلى سن متأخرة من العمر فقال: "**فالواقع المشهود أن الكثير من شبابنا–و هم أملنا وورثة خصائصنا– يعرضون عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق، ويترتب على ذلك أن الكثيرات من شوابنا يتعطلن عن الزواج إلى تلك السن، فيضيع على الجنسين ربيع الحياة ونسماته و أزهاره و بهجته و قوته**".[1]

إن الزواج الذي غايته إنشاء رابطة للحياة المشتركة، و الذي جعله الله تعالى مودة و رحمة أصبح مخيفا لدى الكثير من الشبان و الشابات، فالزوج لم يعد ينظر من الزوجة إلى دينها وحسبها و جمالها و إنما إلى شيء واحد هو المال.

ومن جهة ثانية فولي الزوجة لا ينظر لأخلاق الخاطب و دينه، و إنما إلى ماله و ما يقدمه من مهر، و هذه مشكلة تعسير الزواج فقال الإمام الإبراهيمي: "**وعلى هذا فالرجل الذي يزوج ابنته على هذا الأصل الواهي، و لا يراعي في زوج بنته إلّا جانب المال، رجل لا عقل له ولا ضمير، فقد يفلس ذلك الزوج، و يرجع على صداق زوجته وثروتها حتى يفلسا معا، ويكون عاقبة أمرهما الطلاق، و كم رأينا من غني زوّج بنته بسكير لما قدم منحلي ساق من مهر، فعاشت بنته في نكد، و لم تتمتع بزوج و لا ولد، و كم رأينا من باع داره التي تظله و تظل أطفاله لإهداء بنت من بناته إلى زوجها، فلما جاء دور الثانية لم يجد، ووجد الشيطان فسوّل له أن يعضلها حتى تموت**".[2]

فعمل على إزالة الأسباب التي أدّت إلى هذه الظاهرة، التي تزجّ بالمجتمع إلى بحر الهلاك وتروّج الفساد فيه، و تنشر الرذائل من فواحش و زنى و ذلك لابتعادها عن شرع الله

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص293.

[2] نفس المرجع السابق، ص295.

و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، يقول رحمه الله: " **من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد و الفتنة، و تعجّل بها إلى الدمار و الفناء-عادة- المغالاة في المهور، وما يقابلها من المغالاة في الشورة، و قد أفضت بنا العوائد السيئة فيها إلى سلوك سبيل منحرف عما تقتضيه الحكمة، و عما تقتضيه المصلحة،وهو تنزل الأغنياء للفقراء رفقا بهم، و تيسيرا عليهم، فأصبح الفقراء يتطاولون إلى مراتب الأغنياء و يقلدونهم، تشبها بهم، ومجاراة لهم، و الضعيف إذا جارى القوي انبتّ فهلك.**

قد كانت هذه القضية –و مازالت- أهم ما تضمنه منهاجنا في الإصلاح الاجتماعي، فعالجناها بالترغيب و الترهيب، و بيان ما تقتضيه الحكمة الشرعية، و ما يقتضيه الحكم الشرعي: تناولناها في الخطب الجمعية، و في دروس التفسير و الحديث، وفي المحاضرات العامة، و في المقالات المكتوبة، و حملنا الحملات الصادقة على العوائد التي لابستها فأفسدتها، حتى صيّرت الزواج الذي هو ركن الحياة، أعسر شيء في الحياة".[1]

ومن القضايا الاجتماعية التي عالجها كذلك: قضية الطلاق و وصفه بقوله: " **الطلاق حلّ عقدة، و بتّ حبال، و تمزيق شمل، و زيال خليط، و انفضاض سامر، فيه كل ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال،من التياع و حرارة، و حسرة و مرارة، و يزيد عليها جميعا بمعنى آخر، وهو ما يصحبه من الحقد و البغض و التألم و التظلم".**[2]

كما وضّح أنّ عقدة الزواج عقدة مؤكدة، يحافظ عليها الأحرار و يتلاعب بها الفجار فجاء قوله:" **أيها المسلمون، إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة، يحافظ عليها الأحرار، و يتلاعب بها الفجار، و إن العصمة امتياز لرجالكم، ما لم تطغوا فيه و تظلموا، فإذا طغيتم فيه وجرتم عن القصد، كما هي حالتكم اليوم، انتزعه منكم القضاء الإسلامي العادل لو**

[1] المصدر نفسه، ص323.

[2] المصدر نفسه، ص297.

كان، فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزي"[1]، فالزوجة هي الضحية التي تطلق عبثا، وذلك سبب تهاونهم بأمر الطلاق و جهل أحكامه، و غفلة عن عواقبه، فإنا لله و إنا إليه راجعون.

فالطلاق ليس أهواء متحكمة و إنما شريعة محكّمة، و التلاعب به تلاعب بكتاب الله ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم:«**أَخْبَرَ أَنَّ رَجُلاً طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلاَثَ تَطْلِيقَاتٍ جَمِيعًا، فَقَامَ وَ هُوَ غَضْبَان ثُم قَال: "أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ أَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُم"**»، [2]فمن المؤسف المحزن أن يكون الطلاق لعبة يجري على ألسنة السفهاء عند أدنى استفزاز، و لا يراعي في ذلك لله أمرا.

ومن هؤلاء الرجال من يطلق دون التزام، و لاشك أن من جعل الطلاق على طرف لسانه أنه مستهين بهذا العقد و أن عواقبه و خيمة ،فراح العلامة يبيّن ذلك بقوله: " **يخرج الرجل إلى السوق، أو يجلس في المقهى، و يختلف مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثا فتكون النتيجة خراب بيت، و تمزيق أسرة وتشريد بنين**".[3]

إن الطلاق له أثر كبير على الأطفال، فمع حدوثه يتشتت هؤلاء بين أم تولى إليها الحضانة في الغالب، و أب لا يكاد يراهم حتى في الأسبوع، فأمر انفصال الوالدين صعب و قاس جدا عليهم، مهما كان عمرهم و في هذا الصدد جاء قول البشير الإبراهيمي: " **فالأمة لا تنعم بأطفالها صغارا، و لا تنتفع بهم كبارا، إلا إذا نشأوا متقبلين في أحضان الآباء و الأمهات، متلقين لدروس العطف و الحنان من قلبين متعاطفين، لا من قلب واحد**"[4]، وبأصرح عبارة فهذه مأساة أمة، لم تسلم وجهها إلى الله تعالى، و دمرتها الذنوب

---

[1] نفس المصدر، ص299.

[2] أخرجه النسائي 3348.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص299.

[4] المصدر نفسه، ص300.

والمعاصي،ولشدة حرصه رحمه الله تعالى على الإصلاح الاجتماعي فإنه لم يغفل عن قضية إلا وذكرها، فقضية الزردة أو الوعدة كما يقال هي المظهر الشركي البدعي، الذي مزق الأمة، وكما سماها العلامة الإبراهيمي بأعراس الشيطان و الغرض منها التقرب إلى ذلك الولي الصالح، و قد كثرت بالجزائر و خاصة في مدن الغرب، و أصبح الناس يحترمونها احتراما كبيرا و يعظمونها، كما يحرص المؤمنون المتقون على أركان الدين الحنيف.

فقال رحمه الله: "**هذه الزرد التي تقام في طول العمالة الوهرانية و عرضها هي أعراس الشيطان وولائمه، و حفلاته و مواسمه، و كل ما يقع فيها من البداية إلى النهاية كله رجس من عمل الشيطان، و كل داع إليها، أو معين عليها، أو مكثر لسوادها فهو من أعوان الشيطان، ألم تر إلى ما يركب فيها من فواحش و محرمات؟ و ما يهتك فيها من أعراض و حرمات؟ كل تلك مما يأمر به الشيطان "البدوي" و كل ذلك مما ذكرنا به القرآن، و بين لنا أنه من أمره و وعده و تزيينه و إغوائه**".[1]لقد ضلّ هؤلاء الجهلة "**فكلما انتصف فصل الربيع من كل سنة تداعى أولياء الشيطان في كل بقعة من هذه العمالة إلى زردة يقيمونها على وثن معروف من أوثانهم، يسوّله لهم الشيطان وليا صالحا، بل يصوّره لهم إلاها متصرفا في الكون، متصرفا في النفع و الضر والرزق والأجل بين عباد الله**".[2]

لقد طغى الفساد عندهم وتعلقت قلوبهم بالأوثان نتيجة بعدهم عن شريعتهم الإسلامية، لأنهم نسوا حكم الله في ذلك، و بين ذلك فضلة الشيخ أحمد حماني رحمه الله تعالى، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقا بقوله: " **إن الطعام و اللحم المقدم في الزردة لا يحل أكله شرعا لأنه مما نص القرآن على حرمة أكله فإنه سبحانه و تعالى يقول: " حُرِمَتْ عَلَيكمُ المَيْتَـةُ وَالدَّمُ وَ لَحْمُ الخِنْزيرِ وَ مَا أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِه" سورة المائدة الآية 03.فاللحم من القسم الرابع أي مما أهل لغير الله، أي ذبح لغير الله بل للمشايخ، فزردة سيدي عابد**

[1]نفس المصدر السابق، ص 320.

[2]نفس المصدر، نفس الصفحة.

أقيمت له و هكذا سيدي أمحمد بن عودة و سيدي بومدين...الخ.أقيمت له الزردة ليرضى و ينفع و يدفع الضر، و تقول إن هذه الذبائح قد ذكر عليها اسم الله، فنقول: " ولو ذكر اسم الله، فإن النية الأولى وهي تقديمها إلى صاحب المقام يجعلها لغير الله".[1]

ولقد أوشكت هذه العادة الخبيثة على الفناء بتأثير الحركة الإصلاحية، ثم عادت بسبب ضعف العقيدة و رغبة الاستعمار الفرنسي في ذلك فقال الإمام المصلح البشير الإبراهيمي: "**ولقد ماتت هذه العوائد الشيطانية قبل الحرب الأخيرة أو كادت تموت، بتأثير الحركة الإصلاحية المطهرة للعقائد، ثم قضي عليها بتأثّر الناس بالحرب ولأوائها، و قد عادت في السنتين الأخيرتين إلى ما كانت عليه، ودعا داعي الشيطان إليها فأسمع، و كأنما أذن في القانتين بصلاة، أو ثوّب في المستطعين بحجّ، فإذا هم في اليوم الموعود مهطعون إلى الداعي، رجالا ونساء وأطفالا، يزجون الرواحل، ويسوقون القرابين، ويحملون الأدوات، تراهم فتقول إن القوم صبّحوا بغارة، تسيل بهم الطرق، وتغصّ بهم الفجاج، حتى إذا وصلوا إلى الوثن نصبت الخيام، وسالت الأباطح بالمنكرات و الآثام.**

وإن لعودة هذه المنكرات لسببا جديدا غير العقيدة، فقد ضعفت، و غير المنفعة المادية لدعاة الشيطان، فقد نزرت، و إنما هو تنشيط الحكومة لها، و تحريضها على إحيائها، لأن في بقائها قوة للاستعمار، و مقاومة للحركة الإصلاحية، و إلهاء لرجال الإصلاح عن البناء والإصلاح، وإنا –إن شاء الله– لهذه المكائد لمتفطنون، و إنا على إحباطها لعاملون، وإنا للحديث عن هذه المخزيات لعائدون".[2]

–إن العلامة البشير الإبراهيمي فعلا مصلح أمة، وموقظ شعب، فهو الرجل الذي سخّر كل طاقاته لخدمة قضايا دينه و وطنه، و لم يبخل على الجزائر بقليل ولا كثير، و الإصلاح الاجتماعي في منهجه ارتبط ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي الذي يعدّ المرجع الأول في حياة الإنسان.

---

[1] أحمد حماني، جريدة الشعب اليومية، الإثنين 18/11/1991م، رقم 09.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص 321–322.

3-الإصلاح في القضايا السياسية:

تمحورت معظم المقالات السياسية في عيون البصائر حول قضيتين هما: قضية فصل الدين عن الدولة الفرنسية، و قضية حرية التعليم العربي.

فقد عالج الإمام البشير الإبراهيمي القضايا السياسية في الداخل و الخارج، و كان لها بالمرصاد، ففي الجانب الداخلي كان دائم الصراع مع الإدارة الفرنسية، و متمردا على قوانينها، و في الجانب الخارجي كان مهموما بقضايا الأمة العربية.

فليس غريبا على أي استعمار أن يسلب حرية الإنسان و ينتزعها، لكن الاستعمار الفرنسي خالف العالم الاستعماري كله، لأن الاستعمار في العالم يحترم الأديان، و يترك لأهلها الحرية في ذلك أما الاستعمار الفرنسي فهو يضايق الإسلام في الجزائر فجاء قوله: " **ولكن ما بالها خالفت العالم الاستعماري كله، و خرقت إجماعه، و شذت عن قاعدته، فهو يسالم الأديان حتى الباطل منها و غير المعقول، و يترك أهلها أحرار في شعائرهم و معابدهم، ويوليها شيئا من الرعاية و الاحترام، و يكتفي بالتسلط على الجانب الدنيوي من حياتهم، أما هي فتضايق الإسلام في الجزائر و تحتكر معابده و شعائره، وتمتهن رجاله، وتبتلع أوقافه، فلا مسجد إلا ما فتحته و لا إمام إلا من نصبته، و لا مفتي إلا من (حنفته) أو (ملكته)، ولا شيخ طريق إلا من (سلكته) و لا حاج إلا من حججته أو نسكته، ولا صائم و لا مفطر إلا على يد (لجنتها)، و لا هلال إلا ما شهد برؤيته (قاضيها)**" !..[1]

هذا ما جعله يطالب في مقالاته بفصل الدين عن الدولة و عبر بقوله: "**وفي فصل الدين عن الحكومة و إيكاله إلى أهله شرف عظيم للحكومات الديمقراطية، وأي شرف أعظم لفرنسا-مثلا- من أن يعلن رئيس جمهوريتها أو رئيس وزرائها، بموافقة برلمانها- أنها فصلت الإسلام بمساجده و أوقافه و قضائه عن حكومة الجزائر وتركته لأهله، يتصرفون فيه بحرية كما يتصرف إخوانهم في المغرب وتونس والهند والصين، فتفوز**

[1] نفس المرجع السابق، ص103.

فرنسا و برلمانها بالذكر الحسن و الثناء الطيب في العالم الإسلامي أولا، و في العالم الديمقراطي ثانيا، لأن التسلط على الأديان بالصورة التي في الجزائر ليس من الإسلام و لا من الديمقراطية و لا من الإنسانية، فلا عجب أن يطرب لتحرير دين عظيم من ربقة الاستعباد في ناحية من الأرض، كل مسلم على وجه الأرض و كل ديمقراطي وكل إنسان".[1]

ويتبين لنا من خلال مقالاته أن فرنسا تتدخل و تتحكم في كل كبيرة وصغيرة من شؤون الدين الإسلامي، و أن ذلك ظلم و انتهاك لحرمات المسلم.

ومما زاد الطين بلة إقحامهم للمرأة في ميدان السياسة، و ذلك بالانتخاب و هي لازالت تعاني من الانحطاط من تخلف و جهل و أمية فقال: "**أي داع من الحكمة، أم أي مقتض من المصلحة لإثارة قضية إعطاء المرأة المسلمة حق الانتخاب؟ كأننا فرغنا من جميع المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية، و حصلنا جميع الحقوق و المصالح، و لم تبقى إلا هذه القضية، و كأن الرجل المسلم استوفى جميع الحقوق، و منها حق الانتخاب، وجنت يداه جميع الثمرات، و منها ثمرة الانتخاب، و نال جميع الحريات، و منها حرية الانتخاب... وبقيت المرأة المسلمة محرومة من ذلك كله، فوجب على الحكومة العادلة، وعلى المجلس الرحيم، أن ينصفاها، و أن يرفعا عنها هذا الإجحاف، و أن يعجلا لها بالحق الضائع و الثمرة المغصوبة، و الحرية المسلوبة".**[2]

-لم يقحم الإسلام المرأة في هذه المضايق و قد اعتبر الإمام الإبراهيمي ذلك حرية مفرطة عن الاعتدال و أنه تعدى الطور الطبيعي فقال: "**و قد جرت الأديان و الحضارات الأصلية على هذا المنهاج الذي نهجه الإسلام في المرأة، إلا أن جاءت هذه الحضارة القائمة فأرخت للمرأة العنان، فزاغت الحرية المفرطة عن الاعتدال، فتعدّت طورها الطبيعي،**

[1] المصدر نفسه، ص 84-85.

[2] المصدر نفسه، ص129.

فأصبحت مشكلة يعسر حلها، لا إنسانا يعسر إقناعه. وسيندم الفاتحون لهذا الباب، المنادون بإعطاء المرأة حق الانتخاب، يوم تصبح ظبية الوعساء أسد غاب، وتصبح النوائب مناهضات للنواب.[1]

فالمرأة تحتاج إلى رعاية و حفظ و تعليم لا أن تزج إلى الاختلاط و قلة الحياء، فقد جعل الله لها حصانة، و جعل للرجل مزية و فضيلة عليها، فهي سيدة البيت من تتولى بشؤونه إذا كانت صالحة و ليست بسفيهة. والانتخاب بعيد عنها كل البعد فقال المصلح الإبراهيمي رحمه الله: "**المرأة الجزائرية تنتحب، و الحكومة الجزائرية تريد لها أن تنتخب... والفرق بسيط، ما دام الفارق نقطة... و قاتل الله هذه الخاء، فما أعسرها في المخرج، وما أسعد من لا ينطق بالخاء....**[2]

أما قضية حرية التعليم العربي والحكومة فقد شغل هذا الموضوع بال البشير الإبراهيمي واعتبر ذلك مقاومة الحكومة الجزائرية للتعليم العربي إما بقوانين أصدرها مجلس الأمة الفرنسي، أو قرارات إدارية مصدرها الجزائر و فضح ذلك بقوله: " **و كلما زادت الأمة إقبالا على تعلم لغتها و دينها، زادت الحكومة في القيد تضييقا، حتى لو أنها نفّذت تلك القرارات بحذافيرها لما بقي في الجزائر من يكتب حرف هجاء عربيا، ولكنها تضع القرارات وتسكت، لتكون عند تنفيذها قديمة عتيقة، و من (صنع الأوائل)، والعتق أصل من أصول الحسن و الاستكرام، و صنع الأوائل موضع للاعتبار والاحترام**".[3]

كما بين أن الاستعمار الفرنسي يسعى بجهد جهيد للقضاء على التعليم العربي لمسلمي الجزائر، بينما يفرضه على أبنائه في وطنه، و أن الاستعمار لفحة من جهنم يجب أن يتقى بالأعمال الصالحة فقال: " **و كما أن جهنم تتقى بالأعمال الصالحة، و أساسها**

---

[1] المصدر نفسه، ص130.

[2] المصدر نفسه، ص131.

[3] المصدر نفسه، ص 217.

الإيمان، فإن الاستعمار يتقى بالأعمال الصالحة، و أساسها العلم، و إذا كان العدو الأكبر لجهنم هو العمل الصالح، فإن العدو الأكبر للاستعمار هو التعليم".[1]

فتعطيل المدارس العربية شر و عقوبة للأطفال فقال:" **إن تعطيل المدارس العربية بالأوامر الإدارية –لأن المعلم الذي يعلم، أو الجمعية التي تدير، غير مرضي عنهما– يعد عقوبة للأطفال الصغار الذين لم يرتكبوا ذنبا، و لو أنها عقوبة لهم في أبدانهم لقلنا: "جرح ويندمل، و لكنها عقوبة لهم في دينهم و شواعرهم و عقولهم، إننا نريدهم أناسي و أشياء نافعة لنفسها وللمجتمع، و أنت تريدينهم لصوصا و حيوانات ضارة و بلاءً على أنفسهم و على الأمة".**[2]

وقد واجه الحكومة بكل جرأة و شجاعة، و يبيّن مدى مسؤوليته على أبناء شعبه فقال: "**إن هذه الأمة رضيت لأبنائها سوء التغذية، و لكنها لا ترضى لهم أبدا– سوء التربية: وإنها صبرت مكرهة على أسباب الفقر، و لكنها لا تصبر أبدا على موجبات الكفر**"[3].

أما على الصعيد الخارجي فقد ألمّ بقضايا الوطن العربي و الإسلامي، فلم يدع مناسبة إلا وعبّر فيها عن رأيه و مقالاته خير دليل على ذلك.

***جمعية العلماء و المغرب العربي:**

إن اهتمام العلامة البشير الإبراهيمي بوطنه الجزائر لم يصرفه عن متابعة قضايا المسلمين، فعلى سبيل المثال نذكر قضية إضراب التلامذة الزيتونيين و كتابته عن هذه المناسبة دليل على الأخوة التي تجمع أبناء المغرب العربي، فأورد لهم بالكلمات التالية: "**أضربتم فسخروا و قالوا: عادة و نوبة، ثم أصررتم فتماروا وقالوا: رعونة من ورائها**

[1] المصدر نفسه، ص220.

[2] المصدر نفسه ص221.

[3] نفس المصدر، نفس الصفحة.

معونة، ثم تحديتم فصدقوا، و لئن زدتم ليقولن ! آمنا أنه لا إله إلا الذي خلق الزيتونة شجرة مباركة، و الزيتونيين رجالا مباركين.أضربتم فتلفت الزمان المشيح بوجهه، المليح بنهره و نجهه، ثم مدّ الإضراب مدّه، وبلغ أشده، فتساءل الناس: أفي الحق هذا؟ أفي الواقع هذا؟ ثم انقسموا فريقين.أضربتم فقال بعض الناس: أضربوا عن الدرس وهو جدوى، و عن العلم، و هو غذاء، وقلنا نحن: أضربوا عن حاضر لا أمل فيه، لينشئوا مستقبلا كله آمال، و كله خيرات".[1]

و بما أنه عربي، فهو أدرى بالعرب فقال: "**وأنا عربي، أعرف الخصائص العربية، وأغالي بقيمتها –على بصيرة– في قيم الخصائص الإنسانية، و أتلمّحها من مأثور أقوالهم كأنني أراها، و أبالغ فأجعلها ميزانا لتصحيح الأنساب، و أنا –في ذلك كله– مؤمن بناموس الوراثة، ثم أتصفح تلك الخصائص في أخلاقهم فلا أجدها، فأرتاب في النسبة، و أقول إنها هجنة دسيسة، أو نطفة خسيسة، و أبقى ظاهريا حتى يقوم دليل، وقد أقام أبناؤنا الزيتونيين الدليل هذه المرة على أنهم عرب، فليهنئوا بصحة النّسب، قبل نيل الأرب، و إنّها لصفقة رابحة".**[2]

*جمعية العلماء و فلسطين:

اتخذت القضية الفلسطينية حيّزا كبير لدى الإبراهيمي، فكتب عنها عديد المقالات منها (تصوير الفجيعة، وصف قرار تقسيمها، العرب و اليهود في الميزان عند الأقوياء، ماذا نريد لها و ماذا يريدون، واجباتها على العرب، عيد الأضحى و فلسطين، أمّا عرب الشمال الإفريقي، الإنكليز حلقة الشر المفرغة)، وراح يعبّر بقوله: "**يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، و في جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية، و على لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني**

[1] المصدر نفسه، ص 411.

[2] المصدر نفسه، ص410.

الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير، و في عنق كل مسلم جزائري لك –يا فلسطين– حق واجب الأداء، و ذمام متأكد الرعاية، فإن فرط في جنبك، أو أضاع بعض حقك، فما الذنب ذنبه، و إنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء و أخيه، و المرء وداره، و المسلم وقبلته".[1]

ويبرز خطابه لنا وقع المأساة في نفسه و إحساسه بالمسؤولية المنوطة به تجاه القضية جعله يكتب في مقاله[واجباتها على العرب]: "**إن الواجب على العرب لفلسطين يتألف من جزءين: المال و الرجال، و إن حظوظهم من هذا الواجب متفاوتة بتفاوتهم في القرب و البعد ودرجات الإمكان و حدود الاستطاعة ووجود المقتضيات و انتفاء الموانع، وإن الذي يستطيعه الشرق العربي هو الواجب كاملا بجزءيه لقرب الصريخ، و تيسر الإمداد، فبين فلسطين و مصر غلوة رام، و إذا لم تمحها الجامعة فليس للجامعة معنى. و إذا لم تهتبل لمحوها هذا اليوم فيوشك أن لا يجود الزمان عليها بيوم مثله".**[2]

فنلاحظ فيما أوردناه من كلام الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى جهده في خدمة القضية و إخلاصه للعرب و المسلمين.

*جمعية العلماء و الشرق و الإسلام:

كان الشيخ البشير الإبراهيمي مهتما بقضايا مصر العربية، و عبّر عن ذلك في عدة مقالات نشرها في جريدة البصائر و هي من أروع ما كتب و منها (محنة مصر محنتنا، يا مصر، أثر الأزهر في النهضة المصرية).

وقد بين معاناتها و ألمها بقوله: "**تعاني مصر العزيزة هذه الأيام، ما يعانيه الحر الأبي، أكره على الضيم، و أريد على ما لا يريد، وجرّع السمّ مدوفا في الحنظل، و قطعت أوصاله و هو يشعر، و استبيحت محارمه و هو يسمع و يبصر، حتى إذا استيأس من**

[1] المصدر نفسه، ص435.

[2] المصدر السابق، ص 454-455.

الإنصاف و نفذ صبره، خطا الخطوة الفاصلة، وأقدم على تحطيم القيد بنفسه، و على تمزيق الصحيفة التي أملتها القوة على الضعف، فقبلها مكرها كمختار، و كانت أهون الشرّين، فأصبحت –بحكم الزمان– أثقل الخطبين".[1]

إن حبّه الكبير لمصر جعله يكتب عنها رافعا لها الهمّة، مبيّنا قيمتها عند الله عز وجل فقال: "**تسميك بما سماك الله به في كتابه، فكفاك فخرا أنه سماك بهذا الإسم الخالد الذي تبدلت أوضاع الكون و لم يتبدّل، و تغيرت ملامح الأرض و لم يتغير، و حسبك تيها على أقطار الأرض أنه سماك ووصفها، فقال في فلسطين(الأَرْضَ المُقَدَسَة) و(القرى التي باركنا فيها) و قال في أرض سبأ: (بلدة طيبة) و لم يسم إلا الطور و هو جبل، و مكة وهي مدينة، ويثرب و هي قرية، فتيهي و افخري بهذه الملاءة التي كساكيها الله، و خذي منها الفال على أنك منه بعين عناية لا تنام، و بذمة رعاية لا تخفر، و بجوار أمن لا يخزى جاره".**[2]

كما أكّد أنه كلّما كانت أزماتها في التاريخ كثيرة، فكلها ستفرج، فهي قبلة المسلمين يولّون وجوههم إليها كلما حلت بهم معضلة، من معاهد لطلب العلم، و من كتب و من علماء، وأن كل المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها لهم فضل حماية دينهم.

[1] المصدر السابق، ص490.

[2] المصدر السابق، ص494.

4-الإصلاح في القضايا الثقافية:

يعد العلامة البشير الإبراهيمي رائد من رواد الإصلاح التربوي و التعليمي في الجزائر، فهو يرى أن الثورة ليست سلاحا فقط، بلا تنشئة أجيال بالتربية و التعليم فقال: "**إن هدف الجزائر في تلك المرحلة هو التحرر من الاستعمار، و قد كان الإمام مقتنعا أن ذلك التحرر لن يتم إلا إذا هيئت و أعدت وسيلته، فلا يمكن أن "تسبق غاية وسليتها"، و ما الوسيلة –في رأيه–العلم بأوسع معانيه، "فهذه الجهود الجبارة التي تبذلها جمعية العلماء في سبيل العربية والإسلام و التعليم كلها استعداد للاستقلال، وتقريب لأجله**".[1]

كما أسس معهد الإمام عبد الحميد ابن باديس بمدينة قسنطينة رغم الأزمات والظروف الصعبة و ذلك "**إيمانا منه بربه، و ثقة في الأمة التي رباها على البذل في الصالحات، وثقة بمكانة في قلوب أبنائها صمّم على إنجاز المشروع، و لم يخيب الله مسعاه، فاستجابت الأمة، ودفعت قليل موجودها في سبيل وجودها، فتمّ تأسيس معهد أطلق عليه اسم الإمام عبد الحميد ابن باديس، فكان تكوينه "أعجوبة من أعاجيب الفجاءة**".[2]

وسعى لبناء المدارس فهو يعتقد أن التعليم ("**نوع من الجهاد**" و **يرى المدارس** "**ميادين جهاد**"، **ويعتبر المعلمين** "**مجاهدين**"، **مستحقين الأجر الجهاد، لأن** "**التعليم هو عدو والاستعمار الألد**").[3]

وأكّد أن حياة الأمم بالمدارس و أن الحياة بالعلم، و المدرسة هي منبع العلم و طريق الهداية إلى الحياة فقال: "**حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، ما في هذا شك، إلا في قلوب ران عليها الجهل، و غان عليها الفساد، و نفوس ختم عليها الضلال، وضرب على**

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص19.

[3] المصدر نفسه، ص20.

مشاعرها المسخ، و طال عليها الأمد في الرق، فصدئت منها البصائر، وعميت الأبصار، فتغير نظرها في الحياة و وسائلها، فرضيت بالدون، ولاذت بالسكون".[1]

و قال أيضا في هذا الشأن: "**الحياة بالعلم، و المدرسة منبع العلم، و مشرع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم زل، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ضل، و حياة الأمم التي نراها و نعاشرها شاهد صدق على ذلك".**[2]

فالعلم هو بوابة المجد لما يحمله من رقي و تغيير، و لقد كانت أول كلمة نزلت في القرآن هي "اقرأ" من سورة العلق. وقد دافع عن البنات رحمه الله في مجتمع يعتبر تعليمهم كبيرة، فارتفع عدد تعليم البنات بعدما كان قليلا، و "**جادل جدالا كبيرا عن حقها في التعليم، بل عن واجبه عليها، إذ الإسلام يجعل العلم فريضة على المسلم ذكرا كان أو أنثى، و بذلك وصل عدد الإناث في مدارس الجمعية إلى 5696 بنت سنة 1951م، ليقفز إلى ثلاث عشرة ألف بنت سنة 1953م، وهو عدد ضخم نظرا لظروف ذلك العهد الاجتماعية والنفسية والمادية.وقد كان الإمام يخطط لإنشاء دار للمعلمات، و معهد للبنات على غرار معهد ابن باديس للذكور، و جامعة عربية إسلامية تجمع بين الروح الإسلامية الشرقية و العلوم الحديثة النافعة".**[3]

وهذا ما جعل الاستعمار يستاء من تعليم البنت في مدارس جمعية العلماء، فأراد أن يكيد وينتقم لكن العلامة البشير الإبراهيمي كان لها بالمرصاد و كشف هدف تلك الحملة، وهو أن الاستعمار " **متشائم بتعليمها –الجمعية– للبنت المسلمة، لأن نتيجته تكوين بنت صالحة، تصبح غدا زوجة صالحة، و بعد غد أما صالحة، و هاله أن تعمر البيوت**

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ص258.

[2] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص21، بتصرف مني.

بالصالحات فيلدن جيلا صالحا صحيح العقائد متين الإيمان، قويم الأخلاق، طموحا إلى الحياة، فتطول به غصته ثم تنتهي قصته... ولأنّ الاستعمار بعيد النظر، عارف بما للمرأة في أمتها من الأثر، فهو –لذلك– حرّكهم، و ما زال يحرّكهم لإثارة هذا الغبار الأسود في وجه جمعية العلماء، (لـ) زعزعة ثقة الأمة بالجمعية في خصوص تعليم البنت".[1]

وبما أن طلب العلم واجب على كل مسلم، فإن البشير الإبراهيمي لم يبخل بقلمه و لا بلسانه في تحفيز الطلبة المهاجرين و قد أرسل لهم قوله: " **وأوجه النداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشرق العربي، أو إلى أطراف المغرب العربي، أو إلى أوروبا، ثم أخصص المهاجرين إلى تونس لأنهم كثرة، و لأن في أحوالهم لغيرهم عبرة.إنكم يا أبناءنا مناط آمالنا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة و هي ثقيلة، و لاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات و ذو تكاليف، و ننتظر منكم ما ينتظره المدلج في الظلام من تباشير الصبح،**"[2]فالجهد الذي يبذله طلبة العلم و العلماء ليس بالهين و لا بالقليل و لقد خصّهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخيرية و الأفضلية، فقد قال: "**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاَ إِلَى الجَنّةِ**".[3]

فأهل العلم هم ورثة الأنبياء، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، فالعلماء هم أمناء الله على خلقه، و العلم نور يبصر به المرء حقائق الأمور. وقد مدح الله عزّ وجل أهل العلم و أثنى عليهم فقال: " **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الذَّينَ أُوتُوا العِلْمَ وَ مَا يَجْحَدُ بآيَاتِنَا إلاَّ الظَّالِمُون**".[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص22.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ص201.

[3] رواه مسلم، رقم الحديث 2699.

[4] سورة العنكبوت، الآية 49.

كما أكّد البشير الإبراهيمي أن الأسلاف كانوا يقطعون المسافات الطويلة و أنهم خير من يضرب بهم المثال فقال: "**إنّ أسلافكم كانوا يعدّون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه، بل كانوا في دولة الرواية، يعدّون الرحلة للقاء الرجال من شروط الوجوب، فكانوا يقطعون البراري والصحارى والقفار، ويلقون في سبيله المعاطب والأخطار، وكانوا يجوعون في سبيله ويعرون، و يظمؤون و يضحّون، لا يتشكون الفاقة والنصب، ولا يعدون الرّاحة إلا التعب، و لكنهم لا يضيعون أوقاتهم-إذا وصلوا إلى أمصار العلم و لقوا رجاله- في مثل ما تضيعون فيه أوقاتكم من إسفاف و لغو، بل كانوا يحاسبون أنفسهم على الدقيقة أن تضيع إلاّ في استفادة و تحصيل**".[1]

وفي ثنائه على المعلمين ووصفهم بالمدارس و ذكرهم بالخير و الجميل كتب لهم بقوله: "**ها أنتم هؤلاء تبوأتم من مدراسكم ميادين جهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وها أنتم هؤلاء خلفتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حموا الدّين و الدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطتين: الدفاع المجيد، أو موت الشهيد، فاحذروا أن تؤتى أمتكم من ثغرة يقوم على حراستها واحد منكم، فيجلب العار والهزيمة لجميعكم، واعلموا أنكم عاملون، فمسؤولون عن أعمالكم، فمجزيون عنها من الله و من الأمة و من التاريخ و من الجيل الذي تقومون على تربيته كيلا بكيل، ووزنا بوزن**".[2]

كما أنه قدّم لهم العديد من التوصيات لما يحمله قلبه لهم من الشفقة و الاهتمام بأحوالهم وشؤونهم: "**أوصيكم بتقوى الله فهي العدة في الشدائد، و العون في الملمات، وهي مهبط الروح و الطمأنينة، و هي متنزل الصبر و السكينة، و هي مبعث القوة و اليقين، وهي معراج السمو إلى السماء، و هي التي تثبت الأقدام في المزالق، و تربط على القلوب في الفتن. وأوصيكم بالرفق و الأناة في أموركم كلها، و بخفض الجناح للناس كلهم، و**

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 202.

[2] المصدر نفسه، ص262.

باتقاء مواطن الشبه، و اجتناب مصارع الفضيلة، و ما أكثرها في وطنكم هذا، وبإجرار الألسنة عن مراتع الغيبة و النميمة، و فطمها عن مراضع اللغو واللجاج، فهي –لعمري– مفتاح باب الشر، وثقاب نار العداوة و البغضاء.وأوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نجم بالشر ناجمها، و هجم –ليفتك بالخير والعلم– هاجمها، و سجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها، إنّ هذه الأحزاب، كالميزاب، جمع الماء كدرا، وفرقه هدرا، فلا الزلال جمع، و لا الأرض نفع.وأوصيكم بحسن العشرة مع بعضكم إذا اجتمعتم، و بحفظ العهد والغيب لبعضكم إذا افترقتم، إنّ العامة التي ائتمنتكم على تربية أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرآة المكبرة، فالصغيرة من أعمالكم تعدها كبيرة، و الخافتة من أقوالكم تسمعها جهيرة، فاحذروا ثم احذروا...."[1]

و تحسّر أيضا على تقصير آبائه و أجداده و غفلتهم و تفريطهم، و وضح بأن المجتمع الجزائري في حاجة ماسة إلى المعلمين لإنقاذ الجيل من الأمية و الجهل: "**إنّ حاجتنا إليكم هي أن تنقذوا هذا الجيل الناشيء من الأمية التي ضربت بالشلل على مواهب آبائهم، وكانت نقصا لا يعوض في إنسانيتهم، ثم كانت سببا في كل ما يعانونه من بلاء وشقاء، وأن تحببوا إليهم العربية، و تزينوها في قلوبهم، و أن تطبعوهم على التآخي والتعاون على الخير، وأن تربوهم على الفضيلة الإسلامية التي هي مناط الشرف و الكرامة و الكمال، و أن تأخذوهم بممارسة الشعائر الدينية صغارا، حتى نأمن تضييعهم لها كبارا، و أن تزرعوا في نفوسهم حب العلم و المعلم، و حب الأب و الأم، و حب بعضهم بعضا، و حب الله ورسوله و الإسلام قبل ذلك و معه و بعده**".[2]

كما بيّن أنّ الغاية من المدرسة تربية الجيل وتعليمه، و أنّ الغاية من التعليم هو التفقه في الدين واللغة وقد وصف مدارس جمعية العلماء كالتالي: "**نجوم متألقة في ليل**

[1] نفس المصدر السابق، ص265.

[2] المصدر نفسه، ص268.

الجزائر الحالك، منها الكبيرة و منها الصغيرة، و لكل واحدة حظها من اللألاء و الإشراق، و قسطها من الإضاءة لجانب من جوانب هذا الوطن الذي طال في الجهل ليله، و أقام بالأمية ويله".[1]

فقد عانت كثيرا مدراس جمعية العلماء من عراقيل الاستعمار الفرنسي، و تأذى معلميها كذلك، فجاء رده على من يحاول التسلط عليها و خرابها بقوله: "**وإنّ من لئيم المكر أن يحاول بعض الأشرار، المسخرين من الاستعمار، لحرب هذه الحركة، التسلط على بعض هذه المدارس باسم التعليم و هم لا يحسنونه، و باسم النظام وهم لا يتقنونه، و هم يسرّون في أنفسهم التوصّل بتسييرها إلى تدميرها، و بفتحها إلى إغلاقها، و قد فضح الله كيدهم في واحدة أو اثنتين وضعوا أيديهم عليها فعمروها ولكن بالتخريب، وكانوا في ذلك كمسيلمة الكذاب، تفل في بئر حلوة فأصبح ماؤها أجاجا !...."**[2]

و من المعروف أن الاستعمار حارب اللغة العربية محاربة شديدة، معتمدا في ذلك شتى أنواع الأساليب، و منها التشكيك فيها بمزاحمة البربرية لها، و ايذاع صوت البربرية في راديو الجزائر فجاء مقال البشير الإبراهيمي ردا على ذلك و سماه بـ" اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة، ليس لها ضرة".فقال:"**اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غربية و لا دخيلة، بل هي فيدارها، و بين حماتها و أنصارها، و هي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم و تقيم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم و لا تبرح، مادام الإسلام مقيما لايتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، و تنساغ في الألسنة و اللهوات، و تنساب بين الشفاه و الأفواه، يزيدها طيبا و عذوبة أن**

[1] المصدر نفسه، ص258.

[2] المصدر السابق، ص261.

القرآن بها يتلى، و أن الصلوات بها تبدأ وتختم، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها، و خالطت الحواس و الشواعر، وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين و دنيا معا".[1]

كما وضح من جهة ثانية أن قيام البربرية في بعض الجهات ما هو إلا حسن جوار العربية، لأن الإسلام دين تسامح و إحسان و لو كان غير ذلك لمحا البربرية من الوجود، وأنّ القبائل مسلمون عرب، كتابهم القرآن يقرأونه بالعربية، و لا يرضون بدينهم و لا بلغته بديلا.

و أكّد أن النغمة التي ارتفعت في راديو الجزائر بإذاعة الأغاني القبايلية، والأخبار بالقبايلية كذلك، ولزوم إحضار مترجم للقبايلية في أي مقابلة عربية هو تدجيل سياسي و مكر استعماري و تفرقة شنيعة بين اللغتين.

*يتبين لنا أنّ العلامة البشير الإبراهيمي عمل على إصلاح أوضاع الجزائر،بتوعية الشعب وتعليمه مبادئ دينه و لغته حتى يدافع عنها أمام المستعمر.

ومقالاته: "**تؤكد أنه كان في مقدمة صفوف أمته وشعبه، يقود أنصار الحق، و يضرب الأمثال للناس في الصدع بالحق و الثبات عليه، و عدم التفريط فيه مهما تكن الابتلاءات وتتوال الامتحانات.**

إنّ من أهم أسباب نجاح الإمام الإبراهيمي في أداء الأمانات الثقيلة التي حملها، ولم يؤده حفظها، أنه لم يكن يسعى لدينا يصيبها، أو لزعامة زائفة ينالها، و لكنه كان يجاهد في سبيل رفعة الإسلام، و في سبيل استعادة سيادة الجزائر، و في سبيل عزة المسلمين".[2]

---

[1] المصدر السابق، ص206.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ص32.

فالبشير الإبراهيمي إمام الإصلاح و التجديد في العصر الحديث، و لا يستطيع أي دارس أن يعرف حقيقة الدور الذي قام به إذا عرف دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وهذا بعض ما أوجزناه من قضايا الإصلاح المختلفة في كتابه القيم عيون البصائر الذي يعد وعاء لمقالاته التي نشرها في جريدة البصائر.

كما أن هذه المقالات تمتاز"**بالأسلوب الجميل، و المعنى الجليل، و الهدف النبيل، والرأي الأصيل، وعمق التحليل، و دقة التعليل، فاستحقت أن تسمى "عيونا"، و استحق منشئها أن يقال فيه:**

قليل منك يكفيني و لكن قليلك لا يقال له قليل"[1]

[1]المصدر نفسه، نفس الصفحة.

الفصل الثالث:

نماذج من قضايا الإصلاح

1-القضايا الدينية:

*تلخيص مقال "دروس الوعظ في رمضان"ص 287/286/285

لقد جعلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الوعظ الديني مقدمة أعمالها من إصلاح للعقائد ونشر للتعليم،فكان هو معينها على غرس الإصلاح الديني.

ولم تقصّر بهذه الوظيفة يوما وخاصة شهر رمضان المبارك الذي تتفتح فيه أبواب الرّحمة، فكانت الجمعية توزّع العشرات من رجالها العاملين في ميدان التعليم على المدن والقرى لإحياء دروس الوعظ بعد صلاة التراويح، وقد أثّرت هذه الدروس في التربية العامة للأمّة.

كما بيّن العلامة البشير الإبراهيمي أنّه على المشايخ أن يتّعظوا في أنفسهم قبل أن يعظوا غيرهم، وأن يؤدّوا حقّ الله عليهم في النصح والتذكير،باعتمادهم على القرآن الكريم والسنة النبويّة وضرب الأمثال بسيرة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم والصحابة رضي الله عنهم، كما أوصاهم بالحذر من الوقوع في القول على الله بغير علم ،وغرس معاني الشرف والرجولة ،والاعتزاز بحبّ الوطن والإسلام والعروبة في نفوس السّامعين ،وتوضيح المعاملة المهينة من طرف الحكومة لدين الإسلام، ومواقف الجمعية من هذه القضيّة.

كما أكّد من جهة أخرى للسامعين على أنّ الحضور لهذه المجالس يكون بآذان صاغية وقلوب واعية، وعليهم أن يفرّقوا بين المجالس الصّالحة ومجالس الشيطان.

***تلخيص مقال" فصل الدين عن الحكومة"ص105/104/103**

يرى العلّامة البشير الإبراهيمي أنّ فرنسا دولة تسعى لقطع الصلة بين الله تعالى وعباده، وأنّها واضعة نظام اللائكية الذي هو وضع سور بين الحكومة والدّين مهما كان نوعه.

فقد خالفت العالم الاستعماري كلّه، فهو يسالم الأديان ويترك أهلها أحرارا في شعائرهم ويولّيهم الرّعاية والاحترام، فيتسلّط على الجانب الدنيوي من حياتهم فقط.

أمّا فرنسا فتضايق الإسلام في الجزائر فلا مسجدا إلّا ما فتحته، ولا إماما إلّا من نصّبته ، ولا مفتيا إلّا من حنّفته أو ملّكته ولا شيخا إلّا من سلكته ولا حاجّا إلّا من حجّجته أو نسّكته، ولا صائما إلّا على يد لجنتها ولا هلالا إلّا برؤية قاضيها،وقد ناقضت مبدأها حيث تدين باللائكية وحرّية الأديان في فرنسا بنص من دستورها، وتتمسّك بالإسلام في الجزائر.

فهناك دول إستعمارية أبرع من الاستعمار الفرنسي ومع ذلك تعامل الإسلام بكرامة وحرّية ولو نظرت فرنسا إلى المغرب وتونس لرأت بأنّ الإسلام حرّ وإدارته بيد أهله.فالاستعمار كلّه رجس من عمل الشيطان، ولكن هناك تفاوت بين استعمار وآخر، فهناك من يباشر وسائله بالحقد والانتقام، ومنها من يباشرها باللين والتسامح ،والاستعمار الفرنسي من النوع الأول ،فساء الاستعماران مثلا وسيخذلهما القاهر الذي يمهل ولا يهمل.

***تلخيص مقال"شهر رمضان...أثر الصوم في النفوس" ص478/477/476/475**

الإسلام يعتبر المسلم تلميذا ملازما في مدرسة الحياة،دائما فيها لا يخرج من امتحان منها إلّا ليدخل في امتحان، وامتحانات الإسلام تتجلّى في شعائره المفروضة،ففي كلّ فريضة امتحان لإيمان المسلم، وعقله وإرادته، غير أنّ الصّوم أعسرها امتحانا لأنّه مقاوم لشهوات الجسم والنفس،فلا يتوهّم المسلم أنّ الصوم هو إمساك تقليدي عن بعض الشهوات في النّهار والانهماك على جميعها في الليل.

فالصوم لا يكمل ولا تتمّ حقيقته ولا تظهر حكمته إلّا بالفطام عن جميع الشهوات الموزّعة على الجوارح من شهوات الأذن والعين واللسان،فصوم رمضان رمز للتعبّد في صورته العليا، ودرس مفيد في سياسة المرء لنفسه ،فلولا الصوم ما ذاق الأغنياء ألم الجوع وما تصوّروا مايفعله الجوع بالجائعين، وقد كان نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم أجود ما يكون في رمضان.

فرمضان مستشفى زماني يجد فيه المريض دواء دائه، وهو جبّار الشهور،لا يقبل تساهلا ولا تجاهلا،ومن غرائب شؤونه أنّ معظم جنوده من الأطفال،يستعجلون صومه ويستقصرون أيامه،وإذا انتهك أحد حرمته كانوا له بالمرصاد.

ورمضان معلم مهم في تربية النفس، فيقل فيه الفساد ويطول نهاره على أهل المجون لأنّه يحرّم عليهم ما يرجون، ويصفه الصالحون بالشهر المبارك، أمّا الوصف العبقري فهو حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الموحى:"الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ".

2-القضايا الاجتماعية:

*تلخيص مقال "الطلاق" ص297/298/299/300

شرّع الإسلام الطلاق مقيّدا بقيود فطرية حكيمة، وقيود شرعية قويمة ،وشرّع له من المخففات ما يهوّن وقعه،فالزواج إذا ضاعت منه حكمة الله تعالى في السكون والرحمة والعطف،وزاغت الفطرة أحد الزوجين فالله أرحم من أن يكلّف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسي، ولكنّ جهل المسلمين لحقائق دينهم وجفاف الفقه عند الفقهاء أثّر في نفوس المتفقهة، ولوا أنّ الفقهاء أخذوا الفقه من القرآن والسنّة وعمل السلف أو من كتب العلماء المستقلّين المستدلّين، لكان فقههم أكمل.فجمود الفقه عند الفقهاء سهّل على المسلمين تعدّي حدود الله في الطلاق، والتلاعب بهذه العقيدة الالاهية.

فيخرج الرجل للسوق أو المقهى ويختلف مع آخر في شأن بسيط فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق، والنتيجة خراب بيت وتشريد بنين، ويتناقش آخر مع صهره فيحلفان بالطلاق فتتقطّع الأرحام وتتكوّن الفتنة،وكثيرا ما تطلّق الزوجة بالأيمان العابثة، وهي لا تعلم من ذلك شيئا.

وقد بيّن العلامة الإبراهيمي أنّ عقدة الزواج مؤكّدة، يحافظ عليها الأحرار ويتلاعب بها الفجّار، وأنّه لا يوجد أشقى من ابن المطلّقة وأنّ الأمّة لا تنعم بأطفالها صغارا ولا كبارا إلّا إذا نشأوا في أحضان الآباء والأمّهات متلقّين للعطف والحنان من قلبين لا من قلب واحد.

***تلخيص مقال"الشبّان والزواج" ص296/295/294/293**

تعاني الأمة الجزائرية والعربية والإسلامية عدّة مشاكل إجتماعية منها إعراض الشبّان عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق ،مما يضيع على الجنسين ربيع العمر.فالشباب المثقف يعتذر عن الزواج بأنه لا يستطيع تزوّج جاهلة أمّية، فيتزوّج بأجنبية لأنّ الحضارة الغربية أفسدت ذوقه ،فيأنف من الفضيلة إذا كانت أمية، ولا يأنف من الرذيلة إذا كانت متعلّمة.أمّا الشباب الغير مثقف يرى أنّ الشروط مرهقة والعوائد تجلب الإفلاس للأغنياء، فكيف بالفقراء؟

والكثير منهم صادق لأنّ اللوم على هذا المجتمع الفاسد،فالأمّة الرشيدة تحرس شبّانها في طور الشباب من الآفات، والإسلام سمّى الزواج إحصانا ليحفظ على الشاب والشابة دينهم فلا يتجاوزون حدود الله تعالى.

فتعسير اليسير وتحكيم العوائد في مسألة الزواج جعله سبيلا للقلق والبلاء والشقاء عكس ما جعله الله تعالى سكنا وألفة ورحمة، فالزوج لا ينظر من الزوجة إلّا لشيء وحيد هو المال، وولي الزوجة ينظر من خاطب ابنته إلى ماله، ولا عجب أنّ كل زواج يبدأ بهذا الاعتبار ينتهي بالطلاق.

فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم اكتفى بتزويج مسلمة بخاتم من حديد ليرشد إلى أنّ المال ليس له من الاعتبار في باب الزّواج إلّا ما لخاتم من حديد،وهذه الموبقات نتيجة فساد المجتمع وعلى الشباب أن يتزوّجوا ليصبح لديهم عرض يدافعون عنه وأولاد يوسّعون الآمال وبذلك تزداد القومية في نفوسهم وتعظم الحياة في أعينهم.

***تلخيص مقال "أعراس الشيطان" ص322/321/320/319**

يوضّح العلامة الإبراهيمي من خلال مقاله أنّ الشيطان له مرابع خاصة لا يبرحها في فصلين معظمها في العمالة الوهرانية للذّة يجدها هناك.فالشيطان اجتمعت فيه صفات تزيين الفواحش لبني آدم، وعرف بآثاره في أوليائه من قابلية للباطل والشرّ والفساد، لكنّ شيطان العمالة الوهرانية يأمر أولياءه بأعمال سخيفة باردة حيوانية وحشة.

فالزرد التي تقام هناك هي أعراس الشيطان وولائمه، فكلّما انتصف فصل الربيع تداعى أولياء الشيطان إلى زردة يقيمونها على وثن معروف يسوّل لهم الشيطان وليّا صالحا،متصرّفا في الكون،وقد يكون صالحا ولكن ما علاقة هذه الزرد بصلاحه؟ وما مكانها في الدين؟ وهل يرضى بها لو كان حيّا وصالحا الصّلاح الشرعي؟

فهؤلاء المبتدعة يتقرّبون إلى أوثانهم، فإذا جاء الغيث نسبوه لها وإذا جاء الجذب نسبوه إلى الله تعالى، عكس ما قال الله وحكم.

فإذا أقبل الخريف عادوا لتلك العادة النكراء أيضا،فأينما تسير تجد القباب البيضاء والكثرة منها منسوب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإذا بحثت عن الحقيقة فهي من بناء المستعمر لحماية مزارعهم من السرقة والإتلاف بعدما عرفوا افتتان هؤلاء المجانين بها وتقديسهم للجيلاني.

وقد ماتت هذه العوائد بتطهير الحركة الإصلاحية،ثمّ عادت بتنشيط الحكومة لها، لأنّ في بقائها قوّة للمستعمر ومقاومة لرجال الإصلاح وإلهائهم، فعلى القوم أن يجيبوا داعي الله لا داعي الشيطان وأنّهم مسؤولون عن هذه الذبائح المحرّمة التي لا يحلّ أكلها لأنّها ممّا أهل به لغير الله.

3-القضايا السياسية:

*تلخيص مقال "العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء" ص443/444/445

يتبين من خلال هذا المقال أنّ الأقوياء الذين تولّوا أمر التقسيم ما ارتكبوا جريمتهم الشنعاء إلّا بعد أن رأوا تفاوتا في الكيان العربي، فاستنتجوا أنّ العرب لا يملكون مصنعا للسلاح ولا معملا للكيمياء، ولا رجالا فنيّين كرجال اليهود، فقالوا نقسمها ونربح اليهود لأنّ لنا فيهم فائدة معجّلة، ولا نخشى العرب لأنّ ليس فيهم مضرّة مؤجّلة.

ولكن فاتهم أنّ هناك سلاحا أمضى من جميع الأسلحة المادية وهو سلاح الروحانيات، وأنّه ستتقابل القوّتان في فلسطين:قوّة الرّوح ومعها الحقّ، وقوّة المادة ومعها الظلم والباطل، وسيرى العالم من تحطّم ومن تتحطّم.

فيا ويح الأقوياء الذين رجّحوا كفّة اليهود، فالعرب سيأخذون حقّهم بالدم الأحمر في حين أراد الصهاينة استلابه منهم بالذهب الأصفر،وويح اليهود الذين بلغت بهم الغباوة أن يشتروا الحياة الموهومة بالموت المحقّق،وويح الجميع فغرس صهيون في فلسطين لاينبت وإذا نبت فإنّه لايثبت.

ويقولون أنّ فلسطين منسك الأديان السماوية الثلاثة، وإن كان قولهم حقا فالعرب أحقّ بالائتمان عليها لأنّهم مسلمون، ومن الغريب أن تكون الدول المصوّتة على التقسيم وغرس اليهودية في فلسطين كلّها دول مسيحية تعتقد أنّ اليهود صلبوا المسيح...فهل يلام العرب والمسلمون بعد هذا إذا اعتقدوا أنّها حرب صليبية.

ففلسطين وديعة محمّد عندنا، وأمانة عمر في ذمّتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منّا ونحن عصبة إنّا إذا لخاسرون.

***تلخيص مقال "قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا" ص460/461**

عرضت قضية فلسطين على مجلس الأمم المتّحدة وفرنسا أحد أعضائه، فوافقت على التقسيم ولم تحترم شعور المسلمين وعواطفهم وكانت في تلك الموافقة مقلّدة وتابعة ومؤتمّة بإمام لا يصحّ الإتمام به في شريعة العقل،وقد تجلّت فرنسا في المجلس بكلّ حقد وبغض وتحدّ لعواطف المسلمين، كأنّ لها عند العرب والمسلمين ترة.

وبمبادرة راهب البيت الأبيض الاعتراف المتّفق عليه، ما كان لفرنسا إلّا أن اعترفت، فالصهيونية تتغلغل في فرنسا واليهودية تتحكّم في مرافقها وحكومتها، وفرنسا وطن قومي لليهود،فهم يطالبون بفلسطين كوطن ثان نكاية في المسلمين وتسلّطا على قبلتهم الأولى.وفعلت فرنسا كلّ ذلك خوفا من اليهود وليس مجاملة لهم، لأنّه لو كان للمجاملة مجال لكان العرب والمسلمون أحقّ من تجامله فرنسا، وهي التي رفعت صوتها بأنّها دولة إسلامية.

إنّ المغرب العربي الذي تتحكّم فيه فرنسا فيه خمسة وعشرون مليونا من العرب المسلمين كلّهم أعطوا فرنسا ولم يأخذوا منها، في حين أنّ اليهود أخذوا منها كلّ شيء ولم يعطوها شيئا، ولكن هذه الملايين هوى في فلسطين، واعتقادا لعروبتها، وكان واجب السياسة أن تراعي عواطفهم لا أن تخذلهم، ولكن لم تفعل لأنّ الأمر ليس بيدها.

فمن الغريب أن يسهل على الفرنسي أن يقول بأنّ فرنسا دولة إسلامية، ولا يسهل عليه أن يقول إنّ دولة فرنسا يهودية، فما أشبه الفرنسي بالمتألّه المغرور، يلعن الشيطان ويتّبع خطواته.

***تلخيص مقال"ذكرى 8 ماي"ص 335/334/333**

يوم ليس غريب على المستعمر بهذا الوطن، ولكن الغريب أن يجعل عن قصد ختاما لكتاب الحرب، ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لقالوا إنّها تجربة القويّ السّفيه في الضّعيف الأعزل.

الاستعمار والحرب هما الاثنان خلقا لمشأمة وتلاقت يداهما في هذا اليوم في هذا الوطن، فراح القتلى من هذه الأمّة ضحيّته.تحدّى الاستعمار الشرائع والخالق فقتل الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ ،فأين النعمان بن منذر ويوماه من الاستعمار وأيّامه؟

أمّة حلّت بها الحرب كما حلّت بغيرها، وقدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها، ولما سكن الإعصار في جوّ من السلم عاود الاستعمار حيوانيته وبطشه وعاد للاغتيال وقتل الأبرياء.

لقد فتح النّاس أعينهم على بشائر النصر بأنّ الدماء أريقت في القرى المنكوبة من قسنطينة، وفي لحظة تسامع العالم أنّ الحرب انتهت مساء الأمس ببرلين وابتدأت صباح اليوم بالجزائر في لحظة خاطفة كالبرق وذلك هو يوم الثامن ماي.

فويل للمستعمر أيشرّفه أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله فيجد الأب قتيلا والأم مجنونة والدار مهدّمة والصغار هائمين في العراء؟

فللّه دماء أبرياء أريقت في ذلك اليوم، ولله أعراض طاهرة انتهكت وأموال استبيحت،ولله يتامى فقدوا من يرعاهم، ولله نساء فقدن بعولتهن ومنعن من الإرث والتزوّج، فأنت الذكرى التي لا تنسى يا 8 ماي وكفى.

4-القضايا الثقافية:

*تلخيص مقال"إلى أبنائنا المعلّمين الأحرار"ص 265/264/263/262

يخاطب العلامة الإبراهيمي المعلمين ويصفهم بالمدارس، ويراهم قد تبوأوا من مدارسهم ميادين جهاد، فطلب منهم الحرص على أن يكونوا أبطال ميدان ومسؤولين عن أعمالهم فيجزون من الله ،ومن الأمّة ومن التاريخ ومن الجيل الصاعد.

وأوصاهم بعدم تضييع الوقت لأنّ أمامهم سبلا وعرة، وعدم التقصير في الواجب لأنه جريمة نهى الإسلام عنها، كما بيّن أنّ الواجبات الكثيرة سببها تقصير الآباء والأجداد من قبل، فالواجب رفع الأنقاض والبناء والتعمير في آن واحد، وتؤدية فرض الوقت وقضاء الفائت في آن واحد.

كما أوصاهم بالحرص على التربية قبل التعليم، وأن يكون مايلقّن للتلاميذ من أقوال منطبقا على ما يرونه من أفعال وأعمال، فرأس مال التلميذ هو ما يأخذه عن معلّمه من الأخلاق الصالحة أمّا ما يأخذه من علم ومعرفة فهو ربح وفائدة،وأوصاهم كذلك بتقوى الله ،والرفق والأناة في الأمور كلّها، وخفض الجناح للناس، واتّقاء مواطن الشبه، واجتناب مصارع الفضيلة،وإجرار الألسنة عن الغيبة والنميمة واللغو واللجاج، والابتعاد عن الحزبيات وحسن العشرة مع البعض عند الاجتماع وحفظ الغيب والعهد لبعضهم البعض، لأنّ العامة تعدّ الصغيرة لهم كبيرة والخافتة من أقوالهم تسمعها جهيرة، وأكّد لهم بأنّهم رجال الحركة وأبطال المعركة ورجال الجمعية فعليهم تشريفها.

***تلخيص مقال"مدارس جمعية العلماء" ص261/260/259/258**

وصف الإبراهيمي مدارس جمعية العلماء بالنجوم، وأكّد أنّ حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، والحياة بالعلم والمدرسة هي منبع العلم ومشرع العرفان وطريق الهداية إلى الحياة.

فالأمم تبني من قصور ومصانع وحدائق ولكنّها بغير المدرسة جسم بلا قلب، وعقد بلا واسطة، ولو تباهت الأبنية بغاياتها لأسكتتها المدرسة،فمن قبل تغالى خلفاء بني العباس في تشييد قصورهم، وتسامت هممهم إلى إظهار جلال الخلافة في البناء والتشييد، ولم ينفقوا في تشييد المدرسة، حتى جاء أحد وزرائهم وشاد المدرسة النظامية، فعلمت بغداد أنّ كلّ ما حازته من جمال كانت تنقصه نقطة الجمال.

وكانت تلك القصور تزخر بالترف الذي يفضي إلى الرّذيلة، أمّا مدرسة الوزير فقد أصبحت تزخر بطلاب العلوم من أئمة الإسلام كابن الصباغ، وأبي حامد الغزالي وأبي إسحاق الإسفرائيني.

فالبناء من صفات كمال المولى تعالى ودليل على أنّ العظيم يبني العظيم، ولقد أنشأ آباؤنا الحضارة الإنسانية الشاملة التي تخيّلها حكماء اليونان، ولم يحقّقها ساستهم وإنّما حقّقها من ساد بالعقل وهم آباؤنا،فالأمة نامت نوما عميقا، والجزائر أفاقت إفاقة غير منتظمة، فوجدت فئة منها تتسم بأسمائها وتتكلم بلغتها وتدعوها لجهنّم، فهي الآن تبني لنفسها المدارس التي كلهّا من آثار جمعية العلماء المسلمين، ومن لئيم المكر أن يحاول بعض المسخرين من الاستعمار التسلّط عليها من أجل تدميرها وإغلاقها، وقد فضح الله عزّ وجل كيدهم.

***تلخيص مقال"اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرّة، ليس لها ضرّة" ص208/207/206**

إنّ اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها، دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، فلمّا أقام الإسلام بالشمال الإفريقي إقامة الأبد أقامت معه فأصبحت لغة دين ودنيا معا، وقد عرف البربر على طريقها ما لم يكونوا يعرفون، وسلطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية، وقيام البربرية في بعض الجهات هو حسن جوار العربية وعدل الإسلام وإحسانه، فلو كان الإسلام دين تسلط وجبرية لمحا البربرية من زمن،فالعدل الذي جاء به الفاتح العربي المسلم لهذا الوطن هو الذي أخضع البربر للعرب خضوع الأخوة لا القوّة، والعلم هو الذي طوع البربرية للعربية.

إن روحانية الإسلام وجمال اللغة العربية جعلا الإسلام صبغة لا تنصل ولا تحول والعربية عقيلة حرّة ليس لها ضرّة.

أمّا النغمة السمجة التي ارتفعت في راديو الجزائر بإذاعة الأخبار والأغاني باللهجة القبايلية ولزوم مترجم للقبايلية في مقابلة مترجم للعربية ليس إنصافا للقبايلية وإكراما لأهلها واعترافا بأصالتها بل هو تدجيل سياسي ومكر إستعماري وتفرقة شنيعة بين اللغتين، وتوضيح بأنّ هذا الوطن مجموع أجناس ولغات لاتستحق إحداهن أن تكون رسمية.

والحقيقة أنّ الوطن عربي، والقبائل مسلمون عرب،كتابهم القرآن يقرأونه بالعربية، ولايرضون بدينهم ولا بلغته بديلا.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد تمّ بحمد الله ما أردت جمعه وكتابته عن موضوع بحثي "**صناعة الوعي من خلال الصحافة الإصلاحية**" للعلّامة الشيخ البشير الإبراهيمي من خلال مقالات عيون البصائر،وعمدت إلى الإيجاز فيه وعدم التعمّق حتّى لا أطيل على إخواني القرّاء وقد توصّلت إلى النتائج التالية:

*أنّ المجتمع الجزائري قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان يموج بالانحرافات نتيجة الجهل الذي كان سببه أهل البدع والضلال من جهة والاستعمار الفرنسي من جهة أخرى.

*أنّ الحركة الإصلاحية في الجزائر ارتبطت بالأزمات التي حدثت في المجتمع الجزائري وأثارت فيه الفوضى، وأنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مكّنت للمنهج الإصلاحي حضوره عبر مختلف أقطار البلاد.

*الصحافة الإصلاحية من أبرز عوامل النهضة العربية الحديثة،ورواد الحركة الإصلاحية في الجزائر اعتمدوا على الصحافة كأسلوب من الأساليب لنشر الأفكار الإصلاحية.

*المقال الإصلاحي يعنى بالقضايا الاجتماعية والسياسية والدّينية والثقافية، يبرز فيه الكاتب رأيه لتوعية الجمهور القارئ ،وقد نشأ المقال الإصلاحي في أحضان الحركة الإصلاحية التي كان كتّابها يعبّرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الحياة والمجتمع.

*مقالات عيون البصائر للعلامة البشير الإبراهيمي هي النّور الذي أبصر به الجزائريّون طريقهم، وقد سمّيت عيونا لامتيازها بالأسلوب الجميل، والمعنى الجليل والهدف النبيل والرأي الأصيل وعمق التحليل ودقّة التعليل.

*في المجال الدّيني نجد العلامة البشير الإبراهيمي مهتما بمحاربة الشرك والبدع والضلالات ،وأنّه يدعو إلى الإسلام الصحيح والسّير على منهج السّلف الصالح، ويؤكّد أنّ

الإسلام هو سلوك يتغلغل في أعماق الحياة اليومية للفرد والمجتمع، وعمل على تحقيق العدل بفصل الدّين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية.

*الإصلاح الدّيني في الجزائر فريد من نوعه، وهو اسم يهيج أصحاب البدع والضلالات من المسلمين في الدرجة الأولى والاستعمار الفرنسي في الدرجة الثانية.

*في المجال الاجتماعي يركّز البشير الإبراهيمي على الإصلاح الاجتماعي قبل الإصلاح الدّيني، وبيّن ذلك من خلال خطب ألقاها أنّ الإصلاحين متلازمين، وأنّ المؤمن لا يستقيم في دينه حتّى تستقيم اجتماعيته.فاهتمّ بأحوال الجزائريين الاجتماعية اهتماما كبيرا وعمل جاهدا على معالجتها وتغييرها واقترح الحلول المناسبة لذلك.

*في المجال السياسي تمحورت معظم مقالات عيون البصائر حول قضيتين هما:قضيّة فصل الدّين عن الحكومة الفرنسية، وقضية حرّية التعليم العربي هذا على الصعيد الداخلي.أمّا على الصعيد الخارجي فنجد العلامة البشير الإبراهيمي قد ألمّ بقضايا الوطن العربي والإسلامي، فلم يدع مناسبة إلّا وعبّر فيها عن رأيه.

*وفي المجال الثقافي عمل على نشر العلم والتعليم بين أفراد المجتمع الجزائري بمحاربة الجهل والأمية، وإنشاء المدارس والمعاهد في مختلف أرجاء الوطن، فكان مشجّعا لطلبة العلم المهاجرين ومحفّزا لهم من خلال مقالاته، كما كان دائم الثناء على المعلّمين وموضّحا مدى حاجة الأمّة لهم، وكان شديد الحبّ والدّفاع عن اللغة العربية التي سعى الاستعمار الغاشم القضاء عليها.

-هذا وأسأل الله عزّ وجلّ أن ينفع به جميع المسلمين، ويجعله في موازين أعمالي، وأن يكون حجّة لي لا عليّ يوم القيامة.

كما أتمنّى أن ينال إعجابكم ويحوز على رضاكم.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

❖ **الحديث الشريف.**

❖ **المصادر:**

❖ محمد البشير الإبراهيمي، الآثار الكاملة، جمع: أحمد طالب البراهيمي، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997م

❖ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.

❖ إبراهيم السامرائي، المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام، مكتبة لبنان،ناشرون،بيروت،ط1،1999م.

❖ إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو، مصرية، القاهرة، ط1، 1969م.

❖ إبراهيم عبد الله المسلمي: الإعلام الإقليمي(دراسة نظرية وميدانية) –دار العربي للنشر والتوزيع –القاهرة،ط1.

❖ ابن منظور: لسان العرب،(ت711)،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1،1988م.

❖ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور :لسان العرب،دار المعارف،القاهرة،د ت.

❖ أبو نصر الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية،دار العلم للملايين،بيروت، ط2،1979م.

❖ أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث،دار الكتاب العربي،بيروت،د ت.

- أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد ابن باديس،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة،الجزائر ،ط1،1405هـ/1984م.
- أحمد رضا: متن اللغة –دار مكتبة الحياة،بيروت،المجلد الثالث،1959م.
- إسماعيل حسني: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية،1995م.
- خالد محمد العمايرة ونايف ذياب الهشلمون، الصحافة والإعلام(النظرية والتطبيق) منشورات دار الوطن، فلسطين،ط1،1991م.
- سامي ذبيان: الصحافة اليومية والإعلام (الموضوع، التقنية والتنفيذ) الإعلام الحديث في النظرية والتطبيق/مدخل نظري وعملي إلى علم الإعلام،دار المسيرة للطباعة والنشر ،بيروت،ط2،1987م.
- طلعت همام: مائة سؤال عن الإعلام(موسوعة الإعلام والصحافة)،مؤسسة الرسالة،بيروت ودار الفرقان،عمان،ط2،1985م.
- عاطف عدلي العبد: الاتصال والرأي العام(الأسس النظرية والإسهامات العربية) دار الفكر العربي،القاهرة،ط1،1993م.
- عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية،ط1،1402هـ/1982م.
- عبد الرحمان شيبان: مقدمة مجلة الشهاب،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،2000م.

❖ عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام،دار الفكر العربي،القاهرة،ط2،1978م.

❖ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ط1،1981م.

❖ عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1945/1931،ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر ،1983م.

❖ العلامة محمد البشير الإبراهيمي: الطرق الصوفية/مقتطفات من نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،مكتبة الرضوان،الجزائر ،ط1،2008م.

❖ علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى بحث في التاريخ الديني والاجتماعي،ترجمة محمد يحياتن،دار الكلمة،الجزائر، 2007.

❖ فؤاد توفيق العاني: الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة،مؤسسة الرسالة،الرياض،1993م.

❖ لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،ط19،1996م.

❖ محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة،دار الأمة،الجزائر ،1994م.

❖ محمد بن سمينة: في الأدب الجزائري الحديث،النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر /مؤثراتها/بدايتها/مراحلها،مطبعة الكاهنة،الجزائر ،2003م.

❖ محمد بن صالح العثيمين: القول المفيد على كتاب التوحيد،دار الكتب العلمية 1424هـ/2003م.

❖ محمد سيّد محمد: الصحافة بين التاريخ والأدب،دار الفكر العربي،القاهرة،ط1، 1985 م.

❖ محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها،تطورها، أعلامها من 1903الى 1931،وزارة الثقافة،2007م.

❖ محمد يوسف نجم: فن المقالة،دار الثقافة،بيروت،ط4، 1966 م.

❖ محمود محمد سفر: الإعلام موقف،مطبعة تهامة،السعودية،ط1،1982م.

❖ مصطفى بن الحاج،دروس التقويم النقدي والروافد اللغوية،المحور التاسع،سفير اللغة والأدب،شبكة الأنترنت.

❖ مقالة بقلم الشيخ مشهور حسن آل سلمان،نشرت بمجلة الأصالة،العدد1،بعنوان:(الشيخ محمد البشير الإبراهيمي).

❖ منى حسن الدسوقي: الشيخ مصطفى الغلاييني في مفهومه الاصطلاحي،دراسة مقارنة بينه وبين الشيخ الأفغاني ومحمد عبده،المكتبة العصرية،ط1،1419هـ/1999م.

❖ يوسف العظم: رحلة الضياع للإعلام العربي،ضمن سلسلة التوعية الإسلامية،الدار السعودية للنشر والتوزيع،جدة،ط2،1981م.

❖ **المجلات والجرائد:**

❖ جريدة الشعب اليومية(الجزائر)،رقم،9،1991م.

❖ جريدة البصائر،(الجزائر)العدد 165،193

فهرس الموضوعات

فهرس المواضيع

المقدمة:
المدخل: تعريف الإعلام الاصلاحي..... 02
الفصل الأول: (هياكل الاصلاح)..... 06
المبحث الأول: الإصلاح في الجزائر..... 07
المبحث الثاني: الصحافة الإصلاحية..... 12
المبحث الثالث: المقال الإصلاحي وخصائصه..... 17
المقال الإصلاحي في العالم العربي..... 18
المقال الإصلاحي في المشرق العربي..... 18
المقال الإصلاحي في المغرب العربي..... 19
الخصائص الفنية للمقالة الأدبية..... 20
المبحث الرابع: العلّامة محمد البشير الإبراهيمي..... 22
الفصل الثاني: (ميادين الاصلاح)..... 25
المبحث الأول: الإصلاح في القضايا الدينية..... 26
المبحث الثاني: الإصلاح في القضايا الاجتماعية..... 33
المبحث الثالث: الإصلاح في القضايا السياسية..... 39
جمعية العلماء والمغرب العربي..... 42
جمعية العلماء وفلسطين..... 43
جمعية العلماء والشرق والإسلام..... 44
المبحث الرابع: الإصلاح في القضايا الثقافية..... 46
الفصل الثالث: (مقالات بأنواع القضايا)..... 55
المبحث الأول: القضايا الدينية..... 55
دروس الوعظ في رمضان..... 55

فصل الدين عن الحكومة..... 56
أثر الصوم في النفوس..... 57
المبحث الثاني: القضايا الاجتماعية..... 58
الطلاق..... 58
الشبان والزواج..... 59
أعراس الشيطان..... 60
المبحث الثالث: القضايا السياسية..... 61
العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء..... 61
قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا..... 62
ذكرى 8ماي..... 63
المبحث الرابع: القضايا الثقافية:..... 64
إلى أبنائنا المعلمين الأحرار..... 64
مدارس جمعية العلماء..... 65
اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة، ليس لها ضرة..... 66
الخاتمة..... 67
قائمة المصادر و المراجع..... 70
فهرس الموضوعات..... 75